السنة 21 - العدد الثاني 1445 هـ - 2023 م

# مسابقة

## خطبة مجلة رسالة المسجد الشهرية

تعلم مديرية التوجيه الديني وإدارة المساجد كافة أئمة مساجد ربوع الجزائر بترشيح أحسن خطبة لنشرها في مجلة رسالة المسجد.

فعلى الراغبين من السادة الأئمة في المشاركة أن يرسلوا خطبهم في منتصف كل شهر قمري، لتعرض على هيئة تحرير المجلة على أن لا تتجاوز الخطبة خمس (05) صفحات.

العنوان:
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
شارع طرابلس المقرية- الجزائر -
البريد الالكتروني :
ressala.dorec@marw.dz

**توزع مجانًا**

ردمك : ISSN -1112-4504



﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

# رسالة المسجد

السنة 21 - العدد 2 / 1445 هـ - 2023م

مجلة محكمة تصدر عن وزارة شؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

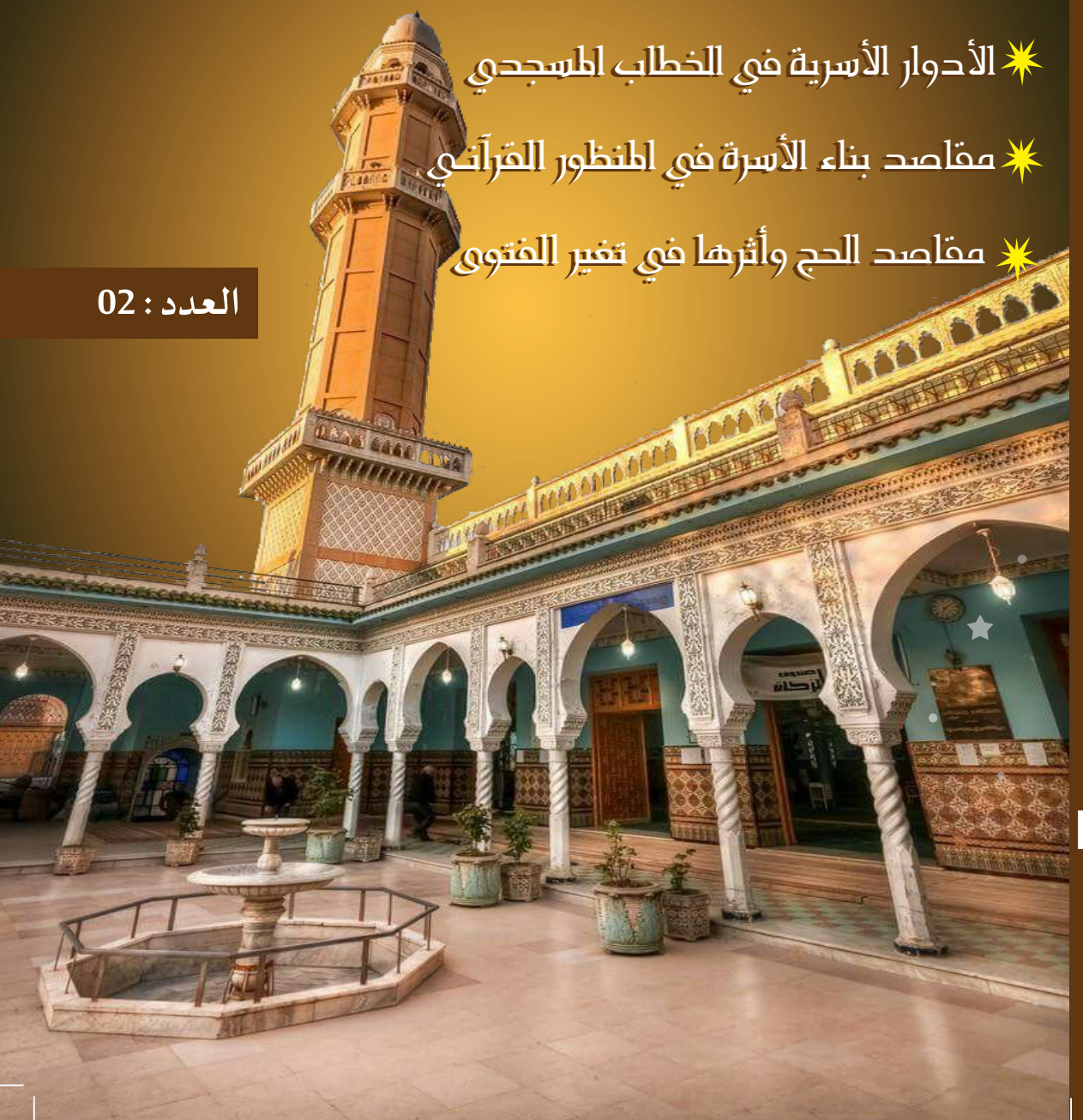

- الأدوار الأسرية في الخطاب المسجدي
- مقاصد بناء الأسرة في المنظور القرآني
- مقاصد الحج وأثرها في تغير الفتوى

العدد : 02

# رسالة المسجد

مجلة محكمة تصدرعن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر

الدكتور يوسف بلمهدي
وزير الشؤون الدينية والأوقاف

**المدير العام مسؤول النشر**

ستشار المدير العام: **الأستاذ الدكتور محند أو إدير مشنان**، مفتش مركزي

رئيس التحرير : **الأستاذ محند عزوق**، مدير التوجيه الديني وإدارة المساجد

ساعدة رئيس التحرير المكلفة بالترتيبات الإدارية: **الأستاذة وهيبة بوداموس**، المديرة الفرعية للمواقيت الشرعية والمناسبات الدينية

ساعد رئيس التحرير المكلف بالترتيبات الفنية: **الدكتور بلال سعيدان**،
المدير الفرعي لتحسين المستوى وتجديد المعلومات

## هيئة التحرير

- أ. د. **محمد يعيش**، عميد كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر.
- أ. د. **عمار طالبي**، باحث جامعي.
- أ. د. **موسى إسماعيل**، باحث جامعي، جامعة الجزائر.
- د. **عمر بافولولو**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- أ. د. **مصطفى باجو**، باحث جامعي، غرداية.
- أ. د . **سليمان ولد خسال**، رئيس المجلس العلمي - كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1
- أ.**يوسف حفصي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.
- د. **نصر الدين وراش**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف
- أ . **سميرة مخالدي**، إطار بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف.

# المحتويات


■ **الافتتاحية**

كلمة العدد بمناسبة الأسبوع الوطني الخامس والعشرين للقرآن الكريم — أ.د. يوسف بلمهدي، وزير الشؤون الدينية والأوقاف — 3

■ **ملف العدد**

الأدوار الأسرية في الخطاب المسجدي — د. لخضر لزرق، مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة — 8

العدالة الاجتماعية ودورها في حماية المجتمع — د. حسان بوسرسوب، إمام أستاذ بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف ولاية البليدة — 31

مقاصد بناء الأسرة في المنظور القرآني — أ.د كمال لدرع، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة — 65

مهارات التواصل الأسري، نماذج تطبيقية من القرآن الكريم — أ.د رقية بوسنان، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة — 103

■ **دراسات**

مقاصد الحج وأثرها في تغير الفتوى — د . عبد القادر قطشة، المدير الفرعي للتوجيه الديني والإرشاد — 122

■ **خطبة العدد**

خطبة الجمعة بمناسبة بمناسبة ذكرى اندلاع الثورة التحريرية، واستمرار العدوان على غزة. — 139

## كلمة الأستاذ الدكتور يوسف بلمهدي وزير الشؤون الدينية والأوقاف بمناسبة انطلاق فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم المنعقد بولاية عنابة أيام22 – 23 – 24 ربيع الأول 1445هـ الموافق 8 – 9 – 10 أكتوبر 2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

**.السادة إطارات الدولة المدنية والأمنية والعسكرية.**

**.السادة العلماء والأساتذة والمشايخ.**

**.السادة أعضاء لجنة التحكيم،**

**.السادة الأئمة والمرشدات الدينيات وأستاذات وأساتذة التعليم القرآني،**

**.أبنائي وبناتي المتسابقين والمتسابقات من حملة كتاب الله عزوجل،**

**.ضيوفنا الكرام،**

**.أسرة الإعلام.**

**أيها الجمع الكريم، كل باسمه وجميل وسمه.**

السلام عليكم جميعا ورحمة الله تعالى وبركاته؛ وبعد؛

ففي رحاب هذه السانحة الربانية التي نتنسّم فيها عبقَ ذكرى مولد النبي المختار عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وفي هذه الأجواء العطرة التي يقيمها المجتمع الجزائري في البيوت والمساجد والزوايا والمدارس وغيرها.. تحيي الجزائر فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في دورته الخامسة والعشرين، احتفاء بالقرآن وأهله، أهل الله وخاصته، الذين أجلّهم المجتمع الجزائري قديما وحديثا، ونالوا الدرجة السنية، والمكانة الرفيعة

لدى السيد رئيس الجمهورية، فخص الأئمة بيوم وطني يصادف ذكرى وفاة سيدي محمد بلكبير رحمه الله، وأكرمهم اعترافا بجهودهم وفضلهم في خدمة الدين والوطن، بقرارات تاريخية تعزز دورهم الديني والاجتماعي، وتحفظ مقامهم الروحي في قلوب الجزائريات والجزائريين.

وهو ما يدعو إلى تقديم الشكر والامتنان عملا بهدي المصطفى ﷺ القائل:( **مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ**). [أخرجه الترمذي]، فباسم كل الأئمة وأسرة المساجد وشيوخ الزوايا والمدارس القرآنية، أرفع آيات الشكر والعرفان والامتنان إلى **رئيس الجمهورية، السيد عبد المجيد تبون** على سامي اهتمامه، ورعايته التي يسديها لأهل القرآن تشجيعا ودعما، سائلين الله العلي القدير أن يحفظه ويرعاه ويزيده توفيقا وسدادا في كل مساعيه التي يبذلها من أجل بناء الجزائر الجديدة، ونصرة القضايا العادلة في الأمة المسلمة والمجتمع الإنساني كله.

ويلتئم هذا المحفل المبارك نخبة من العلماء وشيوخ الزوايا والأئمة وأساتذة الجامعة وبناتنا وأبنائنا من حفظة كتاب الله تعالى، ليتدارسوا على مائدة القرآن الكريم وهديه القويم، موضوع «القرآن الكريم وحماية الأسرة والمجتمع»، وهو موضوع يدعونا إلى دراسة ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من إشارات إلى أهمية الأسرة، فرغم أن لفظ الأسرة لم يرد في القرآن الكريم صراحةً، إلا أنه ورد بألفاظٍ دلّت عليه، قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ سورة النحل 72.

## أيها الجمع الكريم

لقد أوْلى القرآن الكريم الأسرة والمجتمع اهتماماً بالغا، إذ جعل الرابطة الأسرية من أقوى الروابط بين الناس، وأوصى بالحفاظ عليها، وحرص على أن يكون نظام الأسرة متوافقاً مع الفطرة الإنسانية، التي جعل فيها نظام الزوجية سنّة من سنن خلقه لهذا

الكون، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ سورة الذاريات49، وشرع الرابطة الزوجية لحياة أسرية مستقرة مبناها الود والسكينة، وسماها الميثاق الغليظ، قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة الروم20، وجعل التعارف سنته في خلقه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ سورة الحجرات 13.

وقد وضع مبادئ وأسسا تربوية وطرائق تعاملية تحقّق الاستقرار في الأسر والمجتمعات، مما يجعل الفرد صالحًا في نفسه مصلحا لمجتمعه، قال سيدنا رسول الله ﷺ: " إنّمَا بُعِثْتُ لِأُتمِمَ مَكَارِمَ الأخلاق". وهو ما يحمي المجتمعات في مواجهة التحديات المحدقة من كل المناحي، والتي تسعى إلى إلغاء خصوصياتها وهويتها وشخصيتها، وقد واجه هذه الأفكار وأمثالها الأئمة العلماء، والشيوخ المصلحون، وهي الرسالة التي يحملها الأئمة اليوم للحفاظ على وحدة الجزائر واستقرارها وأمنها، وصدّ كل محاولات ضرب هويتها، إنها معركة لا تقل عن معركة تحرير الأوطان، فحماية هويتنا وثقافتنا جهد مقدس، وهو من أولويات الجزائر الجديدة.

## أيها الجمع الكريم

إن وصول أبنائنا الطلبة إلى هذا المستوى العالي في حفظ القرآن الكريم وتجويده، ومشاركتهم في مختلف المحافل والمنافسات القرآنية، بداية من المسابقات المحلية في المساجد والمدارس القرآنية والزوايا، والبلديات والدوائر والولايات، وصولا إلى المسابقة الوطنية في الأسبوع الوطني للقرآن الكريم، ومسابقة الجزائر الدولية، لَتُجسِّدُه الجهود التي تبذلها الأسرة الجزائرية في تنشئة بناتها وأبنائها على حب القرآن الكريم، وتربيتهم على مبادئه وقيمه، وحثهم على حفظه وتلاوته، وتكمّلُه جهود مؤسسات المجتمع وأجهزة الدولة في تعظيم خدمة القرآن الكريم وشعائره، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا

﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ سورة الحج 30، وعلى رأسها مؤسسات التعليم القرآني، المتمثلة في المساجد والكتاتيب، والمدارس القرآنية، والزوايا، إذ يتنافس معلمو ومعلمات القرآن الكريم، وشيوخ الزوايا، وأئمة الإقراء في تحفيظ الناشئة كتاب الله تعالى،﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ سورة المطففين26، لنيل الخيرية التي بشر بها النبي ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ). [أخرجه البخاري].

فهنيئًا للجزائر، أمةِ القرآنِ وأرض القرآن، التي ازدانت هذه الأيام في رحابه، بهذه الحلة القرآنية، بمشاركة أكثر من ستين (60) مشاركا في المسابقة الوطنية لمختلف الفئات، بداية من فئة الصغار أقل من خمس عشرة (15) سنة، إلى فئة الشباب الأقل من أربعين (40) سنة، مع تخصيص مسابقة للنساء، وأخرى للملتحقين بأقسام محو الأمية.

وإن بعض هذه الفروع أُضيفت إلى المسابقة في طبعتها السابقة، لِنلمس أثرها الطيب في النتائج المتحصل عليها في المسابقات والمحافل القرآنية الدولية لهذه السنة 2023، ومنها حصول الجزائر على المرتبة الثانية في فرع القراءات بالمملكة العربية السعودية.

وجدير بالذكر أن الجزائر قد فازت خلال السنوات الأخيرة بإحدى المراتب الثلاثة الأولى في تسع وستين (69) مسابقة دولية، وبالمرتبة الأولى في ثلاث وعشرين (23) منها، آخرها المرتبة الأولى في حفظ القرآن الكريم وتجويده في دولة ماليزيا، والمرتبة الأولى في جائزة الجزائر الدولية.

## أيها الجمع الكريم

إن أسرة المساجد، وشيوخ الزوايا والمدارس القرآنية يضطلعون بدور ريادي في تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية لأبناء الجزائر وبناتها، ويساهمون في مختلف المجالات الاجتماعية، والاقتصادية، والتنموية، والعلمية، والثقافية، حيث صارت المؤسسات الدينية شريكا في العمل الاجتماعي والاقتصادي والتنموي من خلال منظومة الزكاة

والأوقاف والعمل الخيري، وشريكا مع بقية الفاعلين في المجتمع في مجال التربية والتعليم والوعظ والتوجيه وأخلقة المجتمع، وإننا على يقين بأن مسيرتها ستتواصل في خدمة الدين والوطن، وسيمتد مسارها في المحافظة على الأمن والاستقرار، وفي ميدان التنمية الشاملة، وفي غلق الأبواب أمام المتربصين بمصلحة الجزائر.

وإن لَنَا أملا كبيرا في أن يكون هذا الجيل جيلاً قرآنيا خُلُقًا وفكرًا وسلوكًا، وأن يكون محبا لوطنه، متفانيا في خدمته، وفي خدمةِ مجتمعه، ليواصل رسالة الشهداء والمجاهدين، في ظلِّ جزائر جديدة تشق مسيرة التنمية الشاملة والخير والرشاد، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي الختام أتشرف بأن أعلِن رسميا عن انطلاق فعاليات الأسبوع الوطني للقرآن الكريم في طبعته الخامسة والعشرين، بتأطير نخبة من علماء الإقراء، والأساتذة المحاضرين، متمنيا لكم السداد والتوفيق، والنجاح للمتسابقين.

**تحيا الجزائر، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار**

**وصلى الله وسلم على سيِّدنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبِه أجمعين.**

**والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.**

# الأدوار الأسرية في الخطاب المسجدي

## "The Family Roles in Mosque Discourse".

بقلم: الدكتور لخضر لزرق
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة

**مقدمة:**

تعد الأسرة الحاضنة الأولى للإنسان، إذ من خلالها ينمو ويترعرع، ويبنى وجدانه، وتتوجه عاطفته، ويحصل على ما يلبي حاجته الحسية والمعنوية، لهذا نجد ذلك الاهتمام البالغ من كل الأطراف بها، لأن الحصول على أسرة سوية يعني الحصول على مجتمع كذلك، وبالتالي أمة راشدة.

لقد اهتم القرآن الكريم بهذه النواة، توجيها وإرشادا، وتشريعا وتكليفا، وعمد من خلال آيات كثيرة إلى وضع الأطر الناظمة لهذا الكيان، حتى يجد الأفراد فيه معنى للسعادة والاستقرار، والريادة والقيادة.

ولا شك أن أطرافا من هنا وهناك تسعى لتقويض الدور الفعال لهذا الكيان، سعيا منها إلى عزله عن التأثير والتأثر، وبالتالي نشوء كيان ضعيف ومترهل، لا يؤدي شيئا من الأدوار، بل إنها تنيط به أدوارا أخرى ليست من مقصد الإنسانية، ولا من هدي القرآن.

وتجدر الإشارة إلى كثرة الدراسات والكتابات التي ناقشت موضوع الأسرة في القرآن على وجه العموم؛ فمن الكتب: **الأسرة بين العدل والفضل** للدكتور فريد شكري، و**الأسرة في مقاصد الشريعة: قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا**، لزينب العلواني، و**الأسرة في التصور القرآني** لجميلة تلوت، لكن هذه الكتابات انطلقت من منظور

تشريعي يجمع بين الكليات والجزئيات دون تخصيص البحث باستخلاص تلك الأدوار ومناقشة الأدوار المناطة بها.

كما نجد عددا من المقالات التي حاولت ملامسة الموضوع بالاقتصار على القرآن الكريم، نذكر منها: **مقاصد الأسرة في القرآن الكريم**، لهدية غازي علي غازي، و**المقاصد الشرعية لبناء الأسرة المسلمة في الرؤية القرآنية** لرشيد كهوس، و**مقاصد الأسرة وأسس بنائها في الرؤية الإسلامية** ، لماهر حسين حصوة (تلوت، 2018).

ونلاحظ مما سبق أن جل الاهتمام كان منصبا تجاه بيان مقاصد الشريعة من خلال التشريعات المتعلقة بالأسرة، ولا نكاد نقف على بيان الأدوار الأسرية ذات الصلة بالخطاب القرآني إلا في كتاب واحد للدكتورة خديجة مفيد- بحسب اطلاعي- تحت عنوان: الأدوار الأسرية بين المنظومة القرآنية والمنظومة الوضعية، وهي وإن كانت دراستها تنحو نحو المقارنة، غير أنها أفادت في مجال بيان الأدوار الإفادة البالغة، وللأسف لم أستطع الحصول على هذا الكتاب إلى حد هذه اللحظة، غير أني تمكنت من الوقوف على قراءة لبعض الأسانيد لهذا الكتاب، واستفدت بعضا منه من خلال هذه المدارسة.

وللدكتورة محاضرة بعنوان: البعد المقاصدي للبناء الأسري والأدوار الأسرية، وقد تناولت فيها: مفهوم الأسرة في المنظومة الوضعية والمنظومة الشرعية، وتاليا بيان الأدوار الأسرية في القرآن الكريم، وفي هذه النقطة، تعرضت لتفكيك البنية المعرفية، ثم إظهار الأسس التي تقوم عليها الأسرة في المنظومة الشرعية (تازي، 2023).

ودراسة الدكتورة خديجة أصل في هذا الباب غير أنها لما نحت منحى المقارنة، أدى ذلك إلى ملازمة التعريج على أقوال الآخر، وعرض ما لديه من منظومة معرفية مغايرة، وهذا يجر الباحث في الغالب إلى التوسع والذهاب إلى غير المقصود.

والإضافة التي يمكن لي أن أقدمها في هذا البحث هو الاقتصار على الخطاب القرآني وبيان ما فيه من أدوار للأسرة المسلمة.

لذا يتناول هذا البحث والذي هو بعنوان: (الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني)، الأدوار الأسرية الحقة، التي أناطها القرآن الكريم بالفرد والأسرة، مبينا كل دور وما يحمله في طياته من وظائف ومهام، ولعل الإشكالية التي أود طرحها هنا هي: إلى أي مدى اهتم القرآن بقضايا الأسرة، وما هي الأدوار التي أوكلها القرآن الكريم إليها؟

وللجواب عن هذه الإشكالية جاءت خطة الموضوع كالتالي:

مقدمة.

1-مدخل مفاهيمي أعرف فيه بالأسرة وبالدور، وبالخطاب القرآني.

2-أهمية الأسرة في المنظومة القرآنية.

3-الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني.

الخاتمة.

## مدخل مفاهيمي:

يمكن لي في هذه النقطة أن أعرف ببعض المفاهيم ذات العلاقة بالعنوان، حتى يتوضح للقارئ ما سيتم الحديث عنه في ثنايا هذا البحث:

### 1. مفهوم الأسرة وطبيعتها.

**1.1مفهوم الأسرة:** لم يرد مصطلح الأسرة في القرآن الكريم، وإنما وجدت مصطلحات تقترب من هذا المدلول، نحو مصطلحي «الأهل والآل»، واللذان يدلان على جماعة الرجل وعشيرته (الفراهي، 2002، صفحة 121) لكن هذا لا يمنع من محاولة تبيين مفهوم الأسرة قبل الانتقال إلى بيان الأدوار، باعتبار تداول المصطلح اليوم.

#### 1.1.1التعريف اللغوي:

لو تأملنا الأصل اللغوي للكلمة، لوجدنا أنها تنحدر من الجذر اللغوي «أسر»، ويدل على الإمساك والقيد، وفي القرآن الكريم: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ الإنسان 28، أي شددنا خلقهم (الطبري م.، 2000، صفحة 117): وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه

الأدنون لأنه يتقوى بهم (ابن منظور، 1414، صفحة 20).

ومعاني الشد والإمساك والأسر تحيل إلى المعنى الإيجابي؛ الذي يدل على أن أفراد الأسرة يشد بعضهم بعضا، وتربطهم أواصر قوية، فهي الحصن للإنسان؛ لأنها تقوم بتثبيت مصدر وجوده وتكوينه وتنشئته.

### 2.1.1 التعريف الاصطلاحي:

لم يرد مصطلح «الأسرة» في القرآن الكريم، كما سبق بيانه، لكنه كان اصطلاحا معروفا عند العرب يدل على جماعة الرجل، وتطلق العرب كلمة الأسرة للدلالة على قدر من التجمع البشري، وقد وردت الأسرة في نص طويل لابن حجر العسقلاني في تعديد مراتب الأنساب، وذكر جملة من التقسيمات من بينها الأسرة (العسقلاني، 1379، صفحة 528) باعتبارها شكلا من أشكال التجمع الإنساني.

وحين نرجع إلى مفهوم الأسرة في أدبيات التداول الإسلامي (الزحيلي، 2008، الصفحات 20-19)، فإننا نجد محددات ثابتة في البنية المفهومية لا يمكن إزالتها أو تغييرها، وهي: محدد الاختلاف الجنسي، ذكر وأنثى، ومحدد الأولاد، بالإضافة إلى المحدد الشرعي؛ وهو النشوء عن العلاقة الزواجية.

ولو تأملنا بعض التعاريف المعاصرة للأسرة في التداول الإسلامي (الزحيلي، 2008، صفحة 20)، لتبين لنا أنها تقوم في جملتها على أساس الرابطة، ومن ثم؛ فأركان الأسرة من المنظور الإسلامي تتمثل في:

- ترابط بين رجل وامرأة (اختلاف جنسي) تنتفي بينهما موانع التحريم بميثاق شرعي.
- قيام الرابطة على قصد التأبيد لا التأقيت.
- الرغبة في المكاثرة الكمية والكيفية بأبناء الصلب (تلوت، 2018).

ويمكننا بالتالي تعريف الأسرة، بقولنا: « هي النظام الذي تتحدد فيه أدوار كل فرد، وتتغير بتغير مراحل النمو التي يعيشها أفراد الأسرة من ناحية،

وبالتغيرات في دورة حياة الأسرة من ناحية أخرى» (سركز، 2020).

### 2.1 طبيعة الأسرة:

إذا تأملنا القرآن الكريم فإننا نجده لا يفرض نمطا معينا للأسرة «نووية أو ممتدة»، وإنما يحرص على بيان الحدود والقيم التي تؤطر العلاقات الناتجة عن الزواج المشروع، الأمر الذي يجعل العلاقات مركبة ومتشابكة، تتداخل فيها العلاقة الزوجية بعلاقة المصاهرة والنسب، ولا أدل على ذلك من تشريعات الميراث المضبوطة والمتشعبة، والانضباط بهذه الحدود الشرعية والضوابط الأخلاقية يحفظ هذا التشابك الأسري وينمى هذا التآصر العائلي بين مختلف محددات الأسرة الكبيرة (الممتدة) أو الصغيرة (النووية).

ومن ثم، فإن بوصلة الأسرة في القرآن موجهة دائما نحو قبلة الأمة القطب، بغية النهوض والشهود، لذلك فإنه من بين المقاصد القرآنية العليا تحديد جماعة الأسرة بدءا من الزوجين ومرورا بالأبناء وما يترتب عن ذلك من علاقات النسب والمصاهرة في تشريع دقيق محدد ومنضبط، حتى تتميز الجماعة الأسرية عن غيرها من جهة، وحتى تكون هذه الجماعة اللبنة الأولى في تشكيل المجتمع من جهة أخرى، فدون جماعة سوية لا يمكن الحديث عن مجتمع راشد، فيلزم من صلاح الأولى صلاح الثاني.

وعليه؛ فإن الاعتناء التشريعي بالأسرة كان من أجل تثبيت ماهيتها، وتجلية المساحات العلائقية وحدودها، والتركيز على أنها امتداد واتساع نحو أمة الرسالة والبلاغ والشهود. لذلك لم يكن غريبا أن جعل الإسلام لكل دائرة من دوائرها المبثوثة أحكاما وتشريعات دقيقة تحكم بناءها وتربطها بسابقتها وتصوبها نحو الدائرة الكبرى (الأمة) والرسالة الأسمى، وهي أمانة الاستخلاف وإعمار الأرض كدحا نحو الله تعالى وملاقاته (بدر، 2009، صفحة 81).

وبالنظر إلى الرؤية الاستخلافية العمرانية يمكن القول إن الزوجية هي النواة الرئيسية لتكوين الأمة القائمة الناهضة الراشدة (الأمة القطب)، ولا

تكتمل هذه الزوجية دون تشابكها في إطار أواصر القرابة والنسب التي تندرج ضمن مسمى «الأهل».. ومجموع الأهالي هو الذي يكون الأمة أو الشعب (تلوت، 2018).

## 3.1 تعريف الدور لغة واصطلاحا:

### 1.3.1 الدور في اللغة:

الدال والواو والراء، أصل واحد؛ يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه (ابن فارس، 1979، صفحة 310)، ودار دورا بسكون الواو، ودورانا بفتحها، وأداره غيره، ودور به، والدواري: الدهر يدور بالإنسان أحوالا (الرازي، 1999، صفحة 109)، ودار يدور واستدار يستدير، بمعنى إذا طاف حول الشيء وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه (ابن منظور، 1414، صفحة 296).

وفي المعجم الوسيط: الدور الطبقة من الشيء المدار بعضه فوق بعضه، يقال انفسخ دور عمامته، وعند المناطقة: توقف كل من الشيئين على الآخر والنوبة، والدورة في المكروه الدائرة، والدورة الدموية، دوران الدم في البدن من الأوردة إلى الشرايين، ومن الشرايين إلى الأوردة، والدورة الزراعية: تقسيم المزرعة قسمين أو ثلاثة يخصص في الأولى النصف للقطن والنصف الآخر للبرسيم والحب وهي الدورة الثنائية، ويخصص في الآخر الثلث للقطن والثلثان للبرسيم والحب، وهي الدورة الثلاثية، ودورة المياه: المرحاض والحمام وما يتعلق بهما، ودورة المجلس النيابي ونحوه مدة انعقاده في السنة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، صفحة 303).

### 2.3.1 الدور في الاصطلاح:

والمقصود بالدور من الوجهة السيكو سوسيولوجية: النمط المنظم للسلوك، ويرتبط بوضعية محددة في المجتمع، وهو مرادف للوظيفة بالمعنى الرائج للكلمة (علوش، 1985، صفحة 90).

ويمكن أن يقال: بأن المقصود بالأدوار الأسرية: هي تلك الوظائف والمهام التي من شأنها أن ترتبط بكل دور، بحيث تتجسد من خلالها تمثلات الأسرة في المجتمع.

## تعريف الخطاب القرآني:

**1.4.1 الخطاب في اللغة:** هو أحد مصدرين للفعل (خاطب)، يقال: خاطب مخاطبة وخطابا، ودلاليا هو إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، وبهذا المفهوم وردت الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿20﴾﴾ ص، أي أعطي الفهم (الطبري م.، 2000، صفحة 172).

والخطاب يقتضي ثلاثة عناصر: المرسل والمستقبل والرسالة.

**2.4.1 الخطاب في الاصطلاح:** هو كل كلام متصل اتصالا يمكنه من نقل رسالة كلامية من الملقي إلى المتلقي (العموش، 2008، صفحة 24).

**والقرآني:** نسبة إلى القرآن: وهو كلام الله تعالى المنزل على عبده محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المعجز بألفاظه ومعانيه، المنقول إلينا بالتواتر، والمكتوب في المصاحف، المبدوء بالفاتحة، والمختوم بالناس (الزرقاني، صفحة 20) و(الصالح، 2000، صفحة 21).

وبالتالي **فالخطاب القرآني** هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المتوجه إلى المكلفين إما بغرض أمر أو نهي، أو تصحيح اعتقاد، أو بغرض وصف دنيا أو أمر من أمور الآخرة، أو بغرض قصصي (ناجي، 2022).

## 2. أهمية كيان الأسرة في المنظومة القرآنية.

يعد الزواج هو المدخل الفطري والشرعي لبناء الأسرة المتراحمة التي تضطلع بأدوارها الحضارية ومسؤولياتها المجتمعية، ذلك أن الأسرة من المنظور الإسلامي هي كل شيء، فيها يصنع الإنسان، وبها يبنى العمران، ولذلك أولاها القرآن الكريم الحظ الأوفر والمساحة الأوسع من تشريعاته، تفصيلا وتبيينا لأدق أحكامها.

إن نجاح الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، وحاضنة الأفراد فيه، وملبية احتياجاتهم الوجدانية، والمانحة للثقة لهم، والمعززة للأخلاق الدينية والمبادئ الوطنية والقيم الإنسانية،

وإن استقرارها يسهمان في تحقيق أمن المجتمع وسلامته، ويقللان من وقوع المشاكل كالطلاق والعنف والقتل والاغتصاب وانتشار المخدرات وتفشي الفواحش، ولا سبيل إلى ذلك إلا بزواج ناجح ومتين على هدى وبصيرة.

إن الأسرة تعد مصنع الإنسان الأول، والعمران هو التجلي للعمل الإنساني على الأرض، وارتقاء العمران مرتهن بصلاح الإنسان، وصلاح الإنسان مرتبط وجودا وعدما بأخلاق الأسرة وصلاحها.

ولقد اهتم القرآن الكريم أشد الاهتمام بالأسرة لاعتبارها القاعدة الأساس في الحياة، واللبنة الأولى في قيام المجتمعات، إننا لنجده يفصل أحكاما تتعلق بالأسرة والعائلة حتى ليكاد الناظر يجزم بأن ثمة استغراقا كاملا لكل الأحكام التي تتعلق بها.

إن عناية القرآن بالأسرة كانت بالنص الكامل على نظامها، وهو ما نراه متناثرا في سور شتى، إنه نظام ملحوظ فيه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها، وينبثق من معين الفطرة وأصل الخلقة، وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا وللمخلوقات كافة، وتبدو هذه النظرة واضحة في قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿36﴾ ﴾ يس و (دوقيه، 2023).

ثم تتدرج النظرة للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان، ثم الذرية، ثم البشرية جميعا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ... ﴾ النساء1، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ الحجرات 13، ثم تكشف عن جاذبية الفطرة بين الجنسين، لا لتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الإناث، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ الروم 21.

فالأسرة تلبي هذه الفطرة العميقة في أصل الكون وفي بنية الإنسان، ومن ثم كان نظام الأسرة في القرآن هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل تكوين

الإنسان، بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون، إذ في القرآن ثمة ربط بين النظام الذي أقامه الله للإنسان، والنظام الذي أقامه الله للكون.

يقول الكاتب ستيفن كوفي- وهو الأب لتسعة أبناء والجد لـ 49 حفيدا- الحائز على جائزة الأبوة عام 2003م، من منظمة المبادرة الوطنية للأبوة (الموسوعة الحرة ويكيبيديا، بلا تاريخ): «إن الأسرة هي أهم وأعظم مؤسسة في العالم، إنها لبنة البناء في جدار المجتمع، ولا يمكن أن تقوم قائمة أية حضارة دون تماسك الأسرة، ولا أن تحقق أية مؤسسة أخرى في الوجود دورها المهم الذي تلعبه» (كوفي، 2010، صفحة 91).

من هنا كان من مقاصد القرآن الكريم الكبرى تكوين الأسرة الصالحة وبالتالي المجتمع السوي.

## 3.الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني:

يمكننا على ضوء ما سبق أن نقرر بأن الأسرة في القرآن الكريم تعرف بعناصرها ووظائفها، وهي في شأنها الغالب مرتبطة بتلك الأدوار والوظائف الموكلة لها، من أجل تحقيق مهمة الاستخلاف، والخطاب القرآني إذ يؤكد على ضرورة المحافظة على هذا النظام، نجد أن نصوصه الواردة في هذه السنة- سنة الزواج- قد سدت جميع منافذ العبث، وحسمت مادة الهوى، وغلقت كل الأبواب المؤدية إلى فساد هذا النظام (عيساوي، 2012، صفحة 213).

لقد جعل الله تعالى تحقيق هذه السنة مشاركة بين طرفين دون تحكم من طرف أو تعسف من الطرف المقابل، سواء من ناحية الوجود أو من ناحية العدم، كما أن الشريعة نزاعة إلى الاحتياط لمصالح الجماعة، حفاظا عليها من كل تطاول أو تسور من شأنه أن يعود على الكل بالفساد (عيساوي، 2012، صفحة 213).

إن أدق خاصية تتميز بها السنن الاجتماعية عن النفسية أنها جماعية الاتجاه والجزاء، اجتماعية المحتوى والمضمون، ومن هنا تجد البناء المقاصدي في حفظ مصالح الإنسان

والإنسانية يؤطره السقف المعرفي السنني الاجتماعي، حين يرصد غدو ورواح حركة المصلحة والمنفعة في ثنائية الفرد والمجتمع رصد معيارايا، بضمان تدافع المتتاليات المقاصدية من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، مع الشروط التنجيزية لسنة التدافع الاجتماعي، من دفع حاجة الأفراد بحاجيات المجتمع، وضروريات الأفراد بضروريات الجماعة، وتحسينيات الفرد بمثيلاتها عند الأمة، سدا لكل منافذ الطغوى التي ينتجها الأثرة بالمال، وإنقاصا من غلواء تمركزه في اليد الواحدة (عيساوي، 2012، صفحة 214).

إن النتيجة النهائية التي تتغياها السنن الاجتماعية أن تحفظ صلاح الفرد والمجتمع ومعهما صلاح الموجودات، سواء بسواء؛ فلا يعقل أن يصلح الحال الجماعي بفساد الأفراد، كما لا يعقل أن يصلح الفرد بفساد المجتمع، والأمر ذاته ينسحب على الموجودات التي هي محل النفع الفردي والجماعي (عيساوي، 2012، صفحة 214).

ومن ثمة فإن سنن الهدى والرشاد التي حواها الخطاب القرآني موجها بها الأسرة والمجتمع، كانت الكفيلة الكافية لبقاء هذا اللبنة على قيد الحياة، صالحة، وحيوية، تؤدي دورها، ومن ورائها المجتمع برمته، على أتم وجه وأكمله، ومن الأدوار الأسرية التي يمكننا الإحاطة بها في هذه العجالة، ما يلي:

### 1.3دور الاستقرار:

تستقر الأسرة وتطمئن بما يخيم على علاقة الزوجين فيها من سكنٍ وتفاهم، وبما يحكم علاقة الأصول والفروع من ودٍ وتراحم وتكافل، لهذا يصور الخطاب القرآني تلك العلاقة البينية تصويرا رقيقا شفافا، مليئا بالحب والمودة، والدفء والحنان، فيقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿21﴾ ﴾ الروم 21 ، ويقول: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة 187، ويقول: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء 19، ويقول:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233) ﴾ البقرة، إنها صلة النفس بالنفس، وصلة السكن والقرار، وصلة المودة والرحمة، وصلة الستر والتجمل.

في ذات الوقت الذي يلحظ فيه القرآن أغراض ذلك الرباط الوثيق، بما فيه من امتداد الحياة بالنسل، يفيض على هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها، فيقول: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ البقرة 223.

ويحيط القرآن هذه الخلية، أو هذا المحضن، بكل رعايته وضماناته، وحسب طبيعة هذا الدين الكلية فإنه لا يكتفي بالإشعاعات الروحية؛ بل يتبعها بالتنظيمات القانونية والضمانات التشريعية.

والذي ينظر في التوجيه القرآني يجد أن ثمة تشريعات مصاحبة، بل هناك حشد ظاهر حول هذا التوجيه، فانظر كيف جمع الله تعالى بين تقواه سبحانه وتقوى الرحم في أول سورة النساء، حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1) ﴾ النساء.

وجمع بين عبادة الله والإحسان للوالدين في سورة الإسراء وفي غيرها: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا

﴿قَوْلًا كَرِيمًا ﴿23﴾﴾ الإسراء، وبين الشكر لله والشكر للوالدين في سورة لقمان: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿14﴾﴾ لقمان.

ومن العوامل التي تساعد على استقرار الأسرة، ما يلي:

### أ- التعاون على أداء الواجبات:

لكل من الزوج والزوجة دور ومسئولية في أداء الأسرة ورسالتها، ومن مقتضيات العشرة بالمعروف تعاونهما في أداء هذه المسئوليات، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء19، وإن أعظم تعاون هو التعاون على تربية الأبناء، فإنها مسئولية الأب كما هي مسئولية الأم، والزوجان اللذان يتعاونان على هذه المسئولية يسهمان في المحافظة على استقرار البيت، ويغلقان باب إلقاء المسئولية على الآخر والهروب منها.

### ب - حسن العشرة:

لا بد للزوجين أن يتبادل كل واحد منهما المعاملة بالخلق الحسن، المتمثل في القول والفعل والشعور القلبي والإحساس العاطفي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم21.

### ج- العفة وإشباع الرغبة:

يجب على الزوج أن يؤدي حق زوجته في العفاف والإشباع الجنسي، فيحرم على الرجل أن يهجر فراش زوجته لغير عذر شرعي، كما أنه لا يهجر زوجته بحجة انشغاله بالعبادات وطلب العلم؛ فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتل وترك مجامعة النساء (البخاري، 1422، صفحة 4) و(النيسابوري، صفحة 1020).

### د - التشاور بين الزوجين:

من عوامل استقرار الأسرة واستمرارها التشاور بين الزوجين في أمر العائلة، والشورى منهج حياة في ديننا الإسلامي، والأمر بها ورد كهيئة وصِفة من الصفات المميزة للمسلمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى 38، بل سميت سورة من القرآن بذلك.

وإن أولى الناس بالمشاورة هم الأشخاص المنوط بهم تحمل المسئولية في البيت، وهم الزوجان، والأولاد.

**هـ- مراعاة القوامة واستعمال على وجهها الصحيح من الطرفين:**

فلا يجوز للزوج أن يتعدى حدود مسئوليته باسم القوامة، ولا يحق له أن يهمل ذلك وقد منحه الله حقا لا ينازعه فيه غيره، وكذلك على الزوجة أن تفهم حدود القوامة للزوج، حتى لا تنازعه حقا وهبه الله له، ولا أن ترضى بأن يفرط بواجب حمله الله إياه، قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ النساء 34.

ويتحقق دور الاستقرار هذا بتحقق ثلاثة أركان:

**الأول:** السكن، وهو السكون النفسي الجنسي الذي يتحد به الزوجان؛ فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء، ومنه جاء معنى الإفضاء، وأكد عليه بمصطلح الميثاق الغليظ، ويدخل في هذا المعنى السكن المادي، وهو ما يمكن للزوجين أن يأويا إليه، ويحتميان به من كل مكروه، وأثره على الاستقرار النفسي معلوم.

**الثاني:** المودة، وهي التي تتعدى الزوجين إلى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الأقارب إلى البعداء.

**الثالث:** الرحمة، وهي التي تكمل لهما بالولد المنفصل منهما الممثل لهما؛ فينتشر التراحم بين الأحياء (البيطار، صفحة 352).

ولا شك أن استقرار الأسر سيؤدي حتما إلى تحقيق الوظائف والأدوار الموكلة لكل فرد من أفرد تلك الأسرة، وبالتالي سيؤثر حتما في استقرار المجتمعات وتطور الدول، ويدفع إلى تعزيز قيمة العمل وكل القيم المجتمعية، وما به تتماسك اللحمة الوطنية.

### 2.3 دور الإعمار:

يشغل موضوع عمارة الأرض وتنمية الحياة البشرية مساحة مهمة في القرآن الكريم، دون أن يتضمن تفاصيله وكيفياته أو يتدخل فيها، بل يرشد إلى مواده وعناصره الأساس المبثوثة في الكون، على الإنسان اكتشافها والتعامل معها وفق سننها، ولكنه يتدخل في بناء هذا الإنسان وتزكيته اعتقادا وتصورا وفكرا،

وسلوكا وعملا، لينعكس ذلك رشدا وصلاحا في إعمار الأرض، ذلك أن هذا الأخير يأتي من المنظور القرآني امتدادا لتزكية الإنسان كمقصود منها، لأن التزكية موضوعها الإنسان المستخلف في الأرض، الذي بزكاته وصلاحه، يؤثر في الحياة في مختلف مناشطها صلاحا واستقامة، لكن للقرآن تدخل في العملية العمرانية من نوع آخر، وهو ما يتعلق بتقديمه الهداية العامة لتلك المجالات الحياتية والمناشط الإنسانية، التي يتمظهر من خلالها هذا العمران ويتشكل وينتظم بها في جملته؛ إذ ألفيناه يهديه إلى الأقوم والأصلح فيها، فشملها بتشريعه الكامل والمكتمل، بما وضعه من تلك المبادئ العامة الكلية، والقيم فيما يتطور فيها بتغير الزمان والمكان، إلى جانب ما وضعه لها من تلك الأحكام التفصيلية فيما لا يتطور مهما تغير الزمان والمكان (دوقيه، 2023).

والعمران هو من مهام الإنسان الكبرى التي تدخل في إطار وظيفته الاستخلافية التي كلف بها: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة 30، إذ هو «الركن المكمل لعملية "الاستخلاف"، والقيمة الحضارية الكبرى في الإسلام التي تؤطر حركة الاستثمار في الكون، والتعامل مع الأشياء وفق منهج الله في أمره ونهيه؛ حيث المقصد العام للشريعة الإسلامية: إصلاح الأرض وعمارتها، وتزجية معاش الناس فيها، ومن البديهي أنه لكي يتحقق العمران بهذا المعنى، فلا بد أن يتم عبر اجتماع الناس وإقامتهم واستقرارهم في مكان وموطن وتعاونهم، وكذا عبر مساحة الزمن المتمثل في هذه الحياة الإنسانية والأعمار التي يتمتع بها الناس (دوقيه، 2023).

ويتأسس هذا الدور على أربعة أسس، هي :

**أ - الإنجاب:** حيث امتن الله على عباده في آيات كثيرة بأنه خلق البشر من ذكر وأنثى، ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء 1، وأفاض بعد ذلك منهما رجالا كثيرا ونساء، وذكر القرآن الإنسان، بأنه قد خلق من نطفة، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ

مِّن طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿14﴾ المؤمنون.

ب - **الإمداد:** كما يؤدي الغذاء الدور الرئيسي في نمو الطفل وتطويره، فإنها مرحلة أيضا يتم فيها ذلك البناء النفسي وتأسيس الاتجاه، وتبلور نمط التفكير والسلوك، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، حيث تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للأحياء الأخرى، فهي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته.. ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشد من حاجة أي طفل لكائن آخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة ألزم للنظام الإنساني، وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة، ولنا في وصايا لقمان لابنه، عبرة وعظة: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ۖ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ۖ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿15﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿16﴾ لقمان، وقل مثل ذلك في آيات الإيصاء والقضاء.

ج- **الإنماء:** وفيها يتم عمل الأسرة على متابعة مراحل نمور الطفل، والحرص على أن تعطى كل مرحلة ما تستحق من التوجيه والتهذيب، والتطوير، سواء تعلق ذلك بالنمو الجسدي، أو العقلي والعاطفي، أو الاجتماعي والنفسي، لهذا فالدعم العائلي في هذه الفترة يلعب دورا حاسما في تطوير الطفل خصوصا إذا علمنا أن بناء الوجدان والإرادة والبعث النفسي، هي المطالب الأولى في مسيرة إصلاح الأمة أحوالها ونهوضها المتجدد، إن جملة التشريعات ذات العلاقة بالشعائر، هي من جملة الإمدادات

التي يتلقاها المسلم عبر مراحله العمرية خصوصا في فترة المراهقة، حين يكون ثمة نوع من الاضطراب الذي لا تداويه إلا مثل تلك التوجيهات الإلهية التي تضفي على النفس السكينة والطمأنينة، وتبعث على السلوك القويم والهادف، يقول تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ لقمان.

**د - بناء عقلية الإنتاج:** بما أن الأسرة هي المحضن الأول والأهم للطفل البشري، نفسيا وماديا، فالطفل البشري يولد غير قادر على تحصيل حاجاته وحماية نفسه، دون عناية أسرية توفر له الحاجات المادية والنفسية وترعى طفولته، وتتأكد الرعاية من خلال بناء عقلية منتجة، تساهم في بناء ذاتها، كما تساهم أيضا في بناء مجتمعها، ولا يمكن أن نصل إلى ذلك النوع من الأطفال إلا إذا تعهدنا نحن كمجتمع أن نمنح أطفالنا ما يستحقون عبر جميع المراحل، إننا بذلك نعد شابا مساهما ومثابرا، يؤدي واجباته كما يسأل عن حقوقه، يقول تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ يوسف، ونعلم أن الامتحان الذي خاضه يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، كان النجاح فيه من حليف يوسف، وهو مكسب ليوسف وأهله بلا شك.

### 3.3 دور الإصلاح:

تكمن قضية إصلاح واقعنا في كسب

معركة الإنسان في مرحلة طفولته، وهو ما يتطلب أن تعي الأسرة دورها الأكبر فيها، ومواصلة توعيتها بذلك من خلال كل وسائل الاتصال والمتابعة مع التقويم للاختلالات الموجودة، وهو الدور الذي لا غنى عنه للتحرك خطوة واحدة في هذا الطريق الإصلاحي إذا علمنا أنه لا ينحصر في الفضاء الأسري الداخلي، بل يتسع ليتحكم ويؤثر في الفضاءات الخارجية في المجتمع، إننا نعني بالإصلاح هو تلك المشاركات التي يقطعها الفرد من أجل بناء ذاته، والوقوف على ما يصلحها، لقد بثت آيات القرآن الكريم وسهلت طرقا كثيرة للوصول بالنفس إلى ما يصلحها، فمما قال تعالى في هذا الشأن: ﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ آل عمران ، وقال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧﴾ الإسراء، وقال أيضا: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١﴾ الأنعام، فالأسرة بيدها القوة والتأثير والمشروعية التي تحدد نوع التأثير الذي يمكن أن تمارسه المؤسسات وبقية قوى المجتمع على الطفل، وعلى بنائه النفسي والوجداني، وعلى قدراته المعرفية، والأسرة بمنزلة النظارة الملونة على عيني الطفل وبصره وبصيرته، يصبغ لونها ما حول الطفل من الوجود والبيئة، فلا يصبح المهم في الحقيقة وفي العمق ماذا يسمع الطفل أو يرى، ولكن المهم

كيف يفهم الطفل؟ وكيف يعي ويدرك ما يسمع وما يرى؟ ولذلك يختلف الأطفال – فيما وراء قدراتهم الطبيعية – في كثير من توجهاتهم ونوعية معادنهم وسلوكهم، وهم يدرسون في مدرسة واحدة، وفي صحبة دراسية واحدة، وعلى منهج دراسي واحد، وعلى يد مدرس واحد، ويعود السبب في ذلك - في المكان الأول - إلى تأثير الأسرة والبيئة المنزلية ونوعية الأصدقاء- الذين يجب أن يسهم الآباء في اختيارهم – على البناء النفسي للطفل وطاقاته وتوجهاته الوجدانية.

### 4.3 دور القيادة:

ويكون ذلك ببناء القدوة في العبادة، فقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾الأنعام 90، وها هنا تربية بالقدوة، يقول الطبري: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم اقتده، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى (الطبري م.، 2000، صفحة 519) .

ومن هنا أداء العبادة أمام الأطفال والصغار من أساليب تعليمهم وتربيتهم على أدائها، وقل مثل ذلك في أنواع وجوه البر، وحسن الحديث، وقول الصدق، وأداء العمل، وإتقانه.

ويكون ذلك أيضا ببناء القدوة في العادات، مما يتعلق بالأعراف المختلفة، والعادات المجتمعية الحسنة، فقد دعا القرآن الكريم في آيات متعددة إلى استعمال المعروف والعادة عند الاختلاف في قضايا الزواج والطلاق وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ النساء 19، وقال أيضا: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ البقرة 83، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾ الإسراء، وهكذا يمكن للطفل أن يكتسب معارف وعادات تفيده في مجابهة مختلف القضايا المجتمعية.

ويكون دور القيادة أيضا برفع سقف الأمانة، وتدريب النشء عليها، وقد جاء الحث على ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿32﴾ ﴾ المعارج، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ لنساء 58، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿27﴾ ﴾ الأنفال.

وقد ربي الله نبيه محمدا ﷺ على هذا الخلق، حتى لقب قبل البعثة بالصادق الأمين، وليس هناك من ألق لهذا النبي يحمد حق الحمد، من كونه أدى الأمانة في تبليغ وحي ربه، وهكذا يطلب من المجتمع أن يؤدي هذا الدور الرسالي، أينما كان الفرد فيه، فالأمانة في العبادة تؤدى، وفي مكان العمل كذلك، وفي الشارع، وفي البيت، وفي المؤسسات، وفي كل مكان يمكن للإنسان أن يشغله، وهكذا المجتمعات يمكن لها أن تؤدي أمانة رعي الحقوق، وإرشاد الحائر، وإعانة الملهوف.

ويكون دور القيادة أيضا برفع سقف الصدق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿119﴾ ﴾ التوبة، وقال أيضا: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿33﴾ ﴾ الزمر، وإذا ربي النشء وهكذا الأمة على هذا الخلق، باستطاعتها أن تتجاوز محنا كثيرة، وباستطاعتها أيضا القضاء على العديد من الأمراض المجتمعية التي إذا غاب الصدق فاضت كثرة، ولوثت الجو العام.

إن الصدق هو صمام الأمان في المجتمع، وهو الرهان الذي يقوم عليه الأمن المجتمعي، ومتى فقد عمت الفوضى، ودب داء الكذب والخيانة، والغدر.

### 5.3 دور الشهادة:

ويكون ذلك بتحقق الأدوار السابقة في الأسرة لتصبح قيادية، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة 143، فالشهادة على الناس تكون

بإثبات الفاعلية المرجوة من دلالة القرآن وتوجيهه، ولا يمكن لأي أمة أن تشهد على غيرها أو أن تحقق معاني الشهود الحضاري، والمجتمع فيها مضطرب لا يعرف سبيلا إلى الاستقرار النفسي أو الاجتماعي، وهكذا الاقتصادي أو السياسي، ولا يمكن أيضا أن تحقق معنى الاستخلاف وعمارة الأرض، وهي ترزح تحت وطأة التخلف، وتشغلها معضلة التقهقر الحضاري، وعملية إصلاح الأفراد على جميع المستويات.

إن القيادة والشهود الحضاري لا بد فيهما من تحقق ما سبق من أدوار، ومتى ما تحقق ذلك يمكننا البوح حينذاك بأن هذه الأمة على مستوى ما يطلبه ويرجوه الخطاب القرآني.

## 4. الخاتمة

وفي الختام لا بد لي من التأكيد على مايلي:

- أن مدارسة قضايا الأسرة من الأهمية بمكان، فهي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، وإن جاز لنا أن نقول، فهي المجتمع كله، منها تنطلق الحياة الاجتماعية للأمم والحضارات، ولا حضارة راشدة تقوم بلا أسرة، ولا عمران سليم يبنى على غير أسرة.
- وأن الحاجة ماسة وقائمة في أمتنا في كل زمان ومكان، وخاصة في عصرها الراهن إلى الكرع من معين كتاب الله العزيز الذي لا ينضب، والاستفادة منه في تأطير الأسر، وبيان مناهج وحيثيات الرقي الحضاري وبناء الأمم.
- لا بد من توجيه وعي الناس نحو هضم هذه الأدوار، والرقي بالأنا الفردي والجماعي نحو تحقيقها، وتمثل ما فيها من وظائف وقيم.

- لا بد أيضا من إبراز هذه الأدوار بمعناها السيسيولوجي والابستمولوجي.
- إن الواجب علينا أن نفهم هوية الدور بحسب موقع صاحب الدور، وهذه الهوية هي مجموعة الوظائف التي يملؤها الدور.
- على الفواعل من جميع القطاعات أن تنبري لتهيئة مراكز أبحاث تعالج كل القضايا ذات العلاقة بالأسرة، سواء تعلق ذلك بالدراسات الاستشرافية، أو تعلق بإيجاد الحلول لكل المشكلات التي تعاني منها الأسرة الجزائرية.

## قائمة المصادر والمراجع


- (بلا تاريخ). تم الاسترداد من الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%81%D9%86_%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A
- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط. مصر: دار الدعوة.
- أحمد القزويني الرازي ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (المجلد 2). (عبد السلام هارون، المحرر) بيروت، لبنان: دار الفكر.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. (1379). فتح الباري شرح صحيح البخاري (المجلد 6). (محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، المحرر) بيروت، لبنان: دار المعرفة.
- أسماء ناجي. (يوليو, 2022). الخطاب القرآني مفهومه وأنواعه. مجلة علوم اللغة والأدب، الصفحات 286-278. تم الاسترداد من https://mala.journals.ekb.eg/article_245275.html
- الطاهر العربي سركز. (يونيو, 2020). الاستقرار الأسري وانعكاسه على جودة الحياة الاجتماعية. مجلة كلية الآداب، الصفحات 303-338.
- جميلة تلوت. (2018). مقصد الأسرة في

القرآن: من الإنسان إلى العمران. تاريخ الاسترداد 4 10, 2023، من مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: https://al-furqan.com/ar/

- خالد العموش. (2008). الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. الأردن، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- خديجة كرار الشيخ الطيب بدر. (2009). الأسرة في الغرب أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها. سوريا، سوريا: دار الفكر.
- رشيد ميموني. (2009). البعد الاجتماعي في القرآن الكريم. قسنطينة: مخبر علم اجتماع الاتصال.
- ستيفن كوفي. (2010). العادات السبع للأسر الأكثر فاعلية. الرياض، السعودية: مكتبة جرير.
- سعيد علوش. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- صبحي الصالح. (2000). مباحث في علوم القرآن. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- عادل عيساوي. (2012). فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري. الدوحة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- عبد الحميد الفراهي. (2002). مفردات القرآن (المجلد 1). (محمد أجمل أيوب الإصلاحي، المحرر) لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- فاطمة الزهراء دوقيه. (3 مارس, 2023). الأسرة في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق العمران. تاريخ الاسترداد 4 10, 2023، من مركز الشهود الحضاري: https://shuhoud.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%AF/
- محمد إسماعيل البخاري. (1422). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري (المجلد 7). (محمد زهير بن ناصر الناصر، المحرر) مصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- محمد عبد العظيم الزرقاني. (بلا تاريخ). مناهل العرفان في علوم القرآن (المجلد 1). مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- محمد ابن جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (المجلد 24). (أحمد محمد شاكر، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

- محمد ابن منظور. (1414). لسان العرب (المجلد 4). بيروت، لبنان: دار صادر.
- محمد الرازي. (1999). مختار الصحاح. (يوسف الشيخ محمد، المحرر) بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
- محمد بهجت البيطار. (بلا تاريخ). نداء للجنس اللطيف. مجلة المنار، 32.
- محمد جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (المجلد 11). (أحمد محمد شاكر، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري. (بلا تاريخ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم (المجلد 2). (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- وهبة الزحيلي. (2008). الأسرة المسلمة في العالم المعاصر. سوريا، سوريا: دار الفكر.
- وئام تازي. (11 ماي, 2023). تقرير محاضرة: البعد المقاصدي للبناء الأسري والأدوار الأسرية للدكتورة خديجة مفيد. تاريخ الاسترداد 29 10, 2023، من منار الإسلام للأبحاث والدراسات: https://islamanar.com/dr-khadija-mofeed/

# العدالة الاجتماعية ودورها في حماية المجتمع

## Social justice and its role in protecting society

بقلم : د. حسان بوسرسوب،

إمام أستاذ بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف - ولاية البليدة

أستاذ بقسم علم الاجتماع جامعة لونيسي علي، البليدة02.

### المقدمة:

يعتبر موضوع العدالة الاجتماعية من أهم الموضوعات التي تعرض لها القرآن الكريم والسنة النبوية، ويتجلى ذلك في الآيات الكثيرة التي عنيت بالحديث عنها. ولقد اشتمل القرآن الكريم على قيم عديدة، تشهد له بخلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان، كما تشهد له بأنّه لا غنى للبشرية عنه، حتى تعيش حياة كلها سعادة واستقرار، حيث نجد في القرآن الكريم الكثير من القيم الفردية والاجتماعية التي حثنا القرآن على التمسك بها، مما يؤدي ذلك إلى انسجام المجتمع وتعاونه واستباب الطمأنينة في صفوف أفراده.

وفي ذات السياق؛ بالعودة إلى البحث في مضمون الدراسات القرآنية، فإنّنا نجد مفردة العدالة الاجتماعية لم ترد بلفظها في القرآن الكريم، إلَّا أنَّ هناك عشرات المفردات توحي بمدلولاتها وأبعادها إلى معنى قيمة العدل والقسط في عدة آيات قرآنية، وتكمن أهمية قيمة العدالة الاجتماعية ودورها في التأثير على حماية حياة المجتمع، من خلال ممارستها وتأثيراتها الايجابية، في إعادة الثقة والتوازن لأفراد المجتمع.

ومما لا شك فيه؛ أنَّ مصطلح العدالة الاجتماعية من الصفات المحمودة التي أكدت الشريعة الإسلامية على أهميتها ومكانتها بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وغيرهم لا سيما أهل الكتاب.

و لعل أهمية تأكيد الإسلام على العدل كقيمةٍ إنسانيةٍ عامّة، أنّه يريد للإنسان أن يعيش العدل في نفسه كإحساس وشعور، وأن يرفض التعاطف مع الظالم و إعانته، لأنّه يسعى لإدخال العدالة في التركيبة الشخصية للإنسان المسلم التقي الذي يصنعه، لذا فهو يرفض الظّلم كإحساس كما يرفضه كموقف.

ومنذ فجر التاريخ والعدالة تلعب دوراً بارزاً في التغييرات التي تتعرض لها المجتمعات، وما من شك أنّ العلاقة التي تمثل هذا التغير هي علاقة طردية، أي أنَّ مستوى العدالة الاجتماعية ونوعها، يؤثران سلبيا أو إيجابيا في مستوى التغييرات الاجتماعية ونوعها، فإن كانت العدالة جيدة ومتقدمة في أطروحاتها ووسائلها وأدواتها وأهدافها وآلياتها، ستحدث بلا شك تغييرات نوعية متقدمة في المجالات الصناعية والسياسية والاقتصادية والتنموية وفي كافة المجالات، والعكس بالعكس إذا كانت العدالة الاجتماعية رديئة ومتخلفة. لذا فواقع أي مجتمع هو صورة معبرة عن واقع العدالة الاجتماعية .

ونتيجة لما سبق؛ فإنَّني لا أدَّعي لنفسي شيئًا في هذا البحث؛ فهو جهد متواضع أردت به الانضمام إلى زمرة الدعاة، وهمُ القوم لا يشقى بهم جليسهم، وحسبي أن أكون لهم جليساً وبهم مقتديًا ومتأسِّيًا، وبين رحاب آيات القرآن الكريم، والسيرة العطرة مقلبًا ومتصفحًا؛ فما هي إلا نصوص أخذتها من هنا وهناك، وجمعت بينها؛ لتزداد جمالاً باجتماعها، وتناسقًا بترتيبها. وفي ضوء هذه الحقيقة جاءت هذه الدراسة: لتبرز وجه الإعجاز في ألفاظ القرآن الكريم، ومن هنا تظهر أهمية وأسباب اختيار البحث في الكشف عن العدالة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، لأنَّه يعالج جملة من المسائل الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والاجتماعية في حياة الفرد المسلم.

## 1 - الإشكالية:

تعتبر العدالة الاجتماعية القاعدة الأساسية لكل مجتمع منظم بشكل عقلاني سليم، يسعى أفراده إلى التعاون المتحد الذي يتيح لهم فرص متساوية

وفعلية، في الحماية والحياة الكريمة المتكافئة دون اللجوء لأوجه المحاباة لأصحاب السلطة، أو الجاه أو أصحاب النفوذ. ومن هذا المنطلق؛ فإنَّ العدالةَ الاجتماعيةَ من المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها حماية المجتمع، لذلك تحرص المجتمعات المتحضرة على الاهتمام بها كفعل اجتماعي عقلاني، وكقيمة أخلاقية واجتماعية تحقق من خلالها حمايتها الاجتماعية. ولا يستطيع أي مجتمع التوقف عن محاولته أن يكون عادلا، ولا يمكن لأي مجتمع أن يصل إلى درجة الاشباع في تحقيق العدل، لأنّه لا يوجد حد نهائي للعدالة. فالعدالة إذاً بهذا المعنى هي الخير العام، فهي بذلك تهدف إلى تحقيق المساواة بين الأفراد عبر التوزيع العادل للموارد والخدمات الأساسية.

وهذا بدورة يهدف إلى تحقيق رفاهية المجتمعات، لأنّ مفهوم الرفاهية يشير إلى حصول الأفرادعلى خدمات، وتأمينات اجتماعية بما يحقق ارتفاع مستوى المعيشة أوضمان حد أدنى لها، لذا يتضح من خلال ما سبق من حق كل إنسان في الحياة الكريمة، ومن نظرة اجتماعية وإنسانية قوامها وجود رابطة قوية بين رفاهية الأفراد ورفاهية المجتمع، وتشمل في دولة الرفاهية الخدمات والتأمينات على التعليم، والصحة، ومستوى من الدخل، وتوفير العمل، والتأمين ضد العجز والشيخوخة، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات فمنذ نشوء الدولة شهد هذا المفهوم تقلبات بين الحضور والغياب، وبين التهمش والاقصاء، مما ألقى بأثاره على الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للأفراد والجماعات وعلى المجتمع برمته، خاصة وأنّ العدالة الاجتماعية في أحد أوجهها تركز على المساواة وتكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا ما لا نجده، إذ عرف المجتمع الجزائري ازديادا ملحوظا في أعداد المهمشين والفقراء والعاطلين، وانقسام المجتمع إلى طبقتين مما غيب الطبقة الوسطى ولدورها في تنمية المجتمع. وأما في مرحلة ما بعد فترة الجزائر الجديدة، فقد تجلت العديد من المتغيرات على الساحة الجزائرية جزء منها دافع لتحقق العدالة الاجتماعية وتفعيلها من أجل حماية المجتمع الجزائري. وتأسيسا على ما سبق، يمكن

أن نتساءل عن دور العدالة الاجتماعية في حماية المجتمع، مما يعمل على بناء المواطن الصالح الذي يشعر بالانتماء لوطنه قولا وفعلا، ويساهم في تحقيق الأمن النفسي والاجتماعي على حد سواء وبالتالي ضمان الاستقرار الاجتماعي، ومنه يمكننا طرح التساؤلات التالية:

1. ما مفهوم العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع ؟
2. هل توجد علاقة بين العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع ؟
3. وما هو دور العدالة الاجتماعية في حماية المجتمع باعتبارها جانبا أساسيا لابد من تطويره وتنميته؟

## 2 - أهمية البحث

- يستمد هذا البحث أهميتهُ من أهمية الموضوع الذي يتناوله، فموضوع دور العدالة الاجتماعية في حماية المجتمع يعدّ من المواضيع بالغة الأهمية؛ فهو قضية كل المجتمعات وتزداد أهمية هذا الموضوع عندما يكون المجتمع في أمسّ الحاجة إلى تغييرواقعه ومواجهة مشكلاته بغية التغلب عليها وتقديم الحلول لها.
- وتبرز أهمية البحث من خلال أهمية العدالة الاجتماعية وقيمتها؛ في تطويرالشعوب وتنميتها اجتماعيا واقتصاديا وفي زيادة قدرتها الذاتية على مواجهة التحديات الحضارية؛ ذلك أنّ العدالة الاجتماعية عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات؛ وهي عامل هام في التنمية الاجتماعية وضرورة للتماسك الاجتماعي والوحدة القومية والوطنية.
- يكتسب البحث أهميته من خلال أنّه يحاول كيفية البعد عن الوقوع في اللاعدالة اجتماعية؛ وفي كيفية مواجهة التحديات والمشكلات المعوقة للمجتمع، وتأتي أهمية البحث أيضا؛ من خلال كونهُ محاولة لأحداث عدالة اجتماعية متميزة يستفيد منها جميع افراد المجتمع في تحقيق التوازن والتطور المنشود.

## 3 - أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

إنّ الهدف العام للبحث يتمثل في محاولة إبراز الدور الذي تقوم به العدالة الاجتماعية بصفتها الوسيلة التي يجدد بها المجتمع شروط وجوده وحمايته؛ باعتبار هذه الأخيرة أصبحت مطلبا أساسيا، بل شرط للوجود والاستمرار في المرحلة المعاصرة هذا الهدف العام، وتتفرع عنه ثلاثة أهداف جزئية تفرضها طبيعة البحث هي:

- توضيح مفهوم العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع.
- بيان العلاقة بين العدالة الاجتماعية ومفهوم حماية المجتمع.
- إبراز دور العدالة الاجتماعية في حياة المجتمع باعتبارها جانبا أساسيا لابد من تطويره وتنميته.

## 4- منهج البحث:

يمكن للباحث في المجالات الاجتماعية والانسانية؛ أن يستخدم عددا من مناهج البحث العلمي وبما أنّ طبيعة الموضوع الذي نقوم بدراستهُ هي التي تفرض المنهج المناسب فإنّه بالإمكان استخدام المنهج الوصفي التحليلي وهذا المنهج له جوانب مهمة ومتعددة منها الوصف والتفسير والتنبؤ.

ويهدف المنهج الوصفي إلى وصف الأشياء أو الظواهر أو الأحداث وبيان العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها ودراستها وتحليلها وأخذ العبرة منها وتوقع تأثيراتها المستقبلية. ( العيسوي، 1997،ص 13) .

## 5- تحديد مفاهيم البحث

### 01 مفهوم الدور:

**أ. يعرف الدور لغة:**

بأنه الحركة أي الفعل والعمل (البستاني،2000، ص211).

ونلاحظ من خلال هذا التعريف أن الدور مرتبط بالقدرة على الحركة والنشاط. والتي تعني: من جهة ورقة مطوية تحمل مكتوب، ومن جهة ثانية ما يجب أن يستظهره ممثل مسرحية .

**ب. أما في الاصطلاح:** فقد توصل عدد من العلماء إلى إعطاء تعاريف متباينة كل حسب تخصصه واتجاهاته العلمية وهذا ما يشير إليه تعريف عبد الله حامد: يعرف الدور في العلوم الاجتماعية بأنّه: «يعبر عما يقوم به الفرد من أعمال ترتبط

بوضعه أو مركزه الاجتماعي، مثال ذلك دور المدير، ودور العامل ودور الطبيب، مع التأكيد على أنَّ الدور يبقى نفسه لا يتغير بل يظل ثابتا عند تغير من يقوم به، إما عن طريق ترك العمل أو الترقية، أو الوفاة»(الخلف،2005، ص 19).

## 02 التعريف اللغوي لمفهوم العدالة الاجتماعية:

**أ - تعددتْ الدلالات المعجمية لمفردة** «العدل» في اللسان العربي، وهي على ذلك يمكن حصرها بحيث لا تتجاوز ثلاث حقول دلالية هي:

المِثل والتسوية والاستقامة، لتصبح العَدْالة في أجلى معانيها العامة هي إعطاء كل ذي حق حقه، أو الحكم والقضاء الحق ضد الظلم، أو ما قام في النفس أنه مستقيم وهو ضد الجور. ( ابن منظور،د.ت، ص 2838 ).

وقد ورد في **كتاب التعريفات:** إن العدالة هي الاستقامة، أما العدل فهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط (الجرجاني،2003، ص121). وورد في القاموس المحيط للفيروز أبادي عن العدالة قوله: وعدل يعدل، فهو عادل من عدول، ورجل وامرأة، عدلُ عدلَ، وعدل الحكم تعديلاً. والعدل: المثل والنظير، كالعدل والتعديل. أما الاعتدال: هو التوسط حال بين حالتين في كم أو كيف، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وكل ما أقمته فقد عدلته وعدلته. (الفيروز أبادي، د. ت،ص13).

وفى المعنى اللغوي لمفهوم العدالة أو العدل يمكن الإشارة إلى مجموعة من المعاني.

المعنى الأول: العدل بمعنى الإنصاف في الحكم وعدم الظلم أو الجور فيه فيقال عدل عليه في القضية فهو عادل والعادل هو واضع كل شيء موضعه وورد أيضاً أن العدل هي قيمة مقابلة للظلم.

ويتمثل المعنى الثاني: للعدل بمعنى المساواة والاستقامة والتوازن. وتعريف العدالة الاجتماعية لغوياً هو بالتأكيد نقيض الظلم الاجتماعي، والذي يتجسد في عدة صور منها الاستبداد والاستعباد والقهر الاجتماعي. (الحديدى، https://democraticac. .2019 de/?p=59997#_ftn5 ).

**ب. التعريف الاصطلاحي لمفهوم العدالة الاجتماعية:**

ظهرت تعريفات عديدة لمفهوم العدالة الاجتماعية وأهتم الكتاب بأبعاد عدة ضرورية لتوافر العدالة الاجتماعية وعلى هذا الأساس؛ يمكننا التمييز بين مفهوم العدالة الاجتماعية لسببين رئيسيين.

**أولاً:** يتم تصور العدالة كفضيلة تنطبق على "المجتمع" وليس فقط على السلوك الفردي: المؤسسات الاجتماعية التي توزع الموارد المادية والمواقف الاجتماعية وهذه الأشياء جميعاً من الممكن تقييمها على أنها عادلة أو غير عادلة.

**ثانياً:** للعدالة الاجتماعية يعتبر البعض أن مصطلح العدالة الاجتماعية هو مصطلح سياسي بالأساس يحمل دلالات أيديولوجية، وعلى أي حال فإن هذا المفهوم جانبه الاجتماعي يطغى على أي شيء آخر، حيث يُوصي بتخفيف حدة الفقروتقليل عدم المساواة كمسألة عدالة وليست صدقة. ويثير المفهوم مجموعة من المناشدات والأفكار التي تقتضي تحقيق المساواة وتوفير الحق في الحد الأدنى اللائق وتكافؤ الفرص، وتحديد الظلم الاقتصادي الناجم عن قوى السوق غير المنظمة والتوصية بعمل الدولة لتحسينه أوإزالته كليًا. (الحديدى، https://democraticac. .2019 .(de/?p=59997#_ftn5

**03 المعنى اللغوي لمفهوم المجتمع:**

**أ - لفظة المجتمع مشتقة من الفعل:** جمع، قال ابن فارس: الجيم والميم والعين أصلٌ واحد يدل على تضام الشيء (أبو الحسن،1991، ص 426). والجمع بمعنى: ضم الشيء بعضه لبعض بعد تفرقة، يقال: جمع الشيء يجمعه جمعًا، وجمعه وأجمعه فاجتمع وتجمع واستجمع، ومن ذلك: المجموع، وهو الذي جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، والجماع: أخلاطٌ من الناس، وقيل: هم الضروب المتفرقون من الناس (ابن منظور، د.ت،

ص 678). وجماع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى، ومن كل شيءٍ، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعضٍ يقال له: جماعٌ (الفيروزي،2005، ص 917). والمجتمع: موضع الاجتماع، والجماعة من الناس (نخبة من اللغويين بمجتمع اللغة العربية بالقاهرة،1976، ص 136).

**ب - المعنى الاصطلاحي لمفهوم المجتمع:**

وضع العلماء المختصون بعلم الاجتماع عدة تعريفات للمجتمع، وكلها تعريفات متشابهة ومتقاربة، من هذه التعريفات تعريف المجتمع بأنه: كل مجموعة أفراد تربطهم رابطةٌ ما، معروفةٌ لديهم، ولها أثرٌ دائمٌ أو مؤقتٌ في حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعضهم البعض (الواحد، 2016، ص16).

**04 التعريف الإجرائي:**

توجد عدة تعاريف بطرق مختلفة لمفهوم العدالة الاجتماعية، لكنها تدور دائمًا حول فكرة أن يتغير المجتمع إلى الأفضل، أي نحو مجتمع تقدمي أكثر عدالة في توزيع ثرواته، وهدفه الحد من الإقصاء والتمييز، ومحاربة الفقر وعدم المساواة بين المواطنين. والدفاع عن دولة لرفاهية والديمقراطية.

## 6 - الدراسات السابقة:

لا ينكر الباحث ازدحام المكتبة الاجتماعية والإنسانية، بدراسات بذلت جهودا فائقة. لكن موضوع إشكالية دور العدالة الاجتماعية في حماية المجتمع، لم يحظ بالبحث الجاد فيما أتيح لي الاطلاع عليه في الإطار المحدود، في مكتبات عامة و أكاديمية كثيرة. ومن خلال تمحيصنا وبحثنا المتواصل، فإننا لم نرصد أي محاولة بحث سابقة حول موضوعنا المتناول والموسوم ب: دور العدالة الاجتماعية في حماية المجتمع، ونظرا لأنَّ الدراسة ليست نقدية ولا مقارنة فإنَّها لم تتبع العرف المنهجي السائد بذكر الدراسات السابقة والاعتماد عليها.

## المبحث الأول: الإطار النظري والمعرفي لمفهوم العدالة الاجتماعية

### 1.1. مفهوم العدالة الاجتماعية:

يشير مفهوم العدالة الاجتماعية إلى أنّ كل إنسان يجب أن يأخذ صفة من الحياة بشكل متلائم مع شخصيته الإنسانية، وأن يسود أبناء المجتمع

لون واحد من التعامل، وتهيئة الفرص الكاملة للمشاركة في جميع الأصعدة والاستفادة من خيرات البلاد، وهذه العدالة ليست في خصوص التوزيع العادل للثروة فحسب، بل يشمل المساواة أمام القانون والأمور الحقوقية، ومحاربة التمييز العنصري والطبقية، فالعدالة الاجتماعية، هي إعطاء البشر حقوقهم في كل مجالات الحياة وعدم التمايز بينهم، بأي لون من ألوان التمايز، ومعاملتهم على أساس العدل، الذي هو أساس العدالة، أي إعطاء كل ذي حق حقه، وفق الحاجة والكفاءة والقدرة (الجابري، 1418 هـ،ص103).

ويؤكد عدد من علماء الاجتماع على أنّ مفهوم العدالة الاجتماعية يعنى إيجاد منظومة فكرية، ومنهج أخلاقي، وأحكام تشريعية، تضمن لجميع الأشخاص المساواة التامة أمام القانون والحصول على جميع الحقوق، فيما يرى علماء آخرون أن العدالة الاجتماعية ليس المقصود بها تلطيف آثار الفقر أو الحرمان، بل يقصد بها المواجهة الشاملة للفقر والحرمان بتهيئة الظروف للأفراد كي يغيروا من حياتهم للأفضل بتوفير كافة الخدمات من تعليم وصحة وسكن وغيرها من الخدمات (المنتدى الاستراتيجي للسياسات العامة ودراسات التنمية،.https://draya-eg org/2023/03/09/). وأخيراً يمكن توصيف العدالة الاجتماعية بأنها الحالة التي يشهد فيها المجتمع كل من (بدوي، 1970، ص184):

1. انتفاء الظلم والاستغلال والقهر والحرمان من الثروة أو السلطة أو من كليهما.
2. اختفاء القهر والتهميش والاقصاء الاجتماعي.
3. اذكاء الاحساس بالإنصاف والتكافل والتضامن والمشاركة الاجتماعية.
4. انعدام الفروق غير المقبولة اجتماعياً بين الافراد والجماعات والاقاليم داخل الدولة.
5. تمتع المواطنين كافة بحقوق اقتصادية واجتماعية وسياسية وحريات متكافئة.

6. إتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الوطن لتنمية القدرات والملكات وتوظيفها بما ييسر الحراك الاجتماعي ويساعد المجتمع على النمو.

7. عدم تعدي الأجيال الحاضرة على حقوق الأجيال المقبلة. وبذلك يندرج تحت مفهوم العدالة الاجتماعية تحقيق التكافؤ في الفرص والمساواة في الحقوق وتحسين الأحوال المعيشية للفقراء والحد من الاختلالات في توزيعات الدخول والثروات وتحقيق التكافل الاجتماعي وضمان الحقوق للأجيال المستقبلية (قطب، 1964، ص ص32-31).

### 2.1. العدالة الاجتماعية في الشريعة الإسلامية:

يركز هذا المبحث على أهمية تأكيد الإسلام على العدل كقيمةٍ إنسانيةٍ عامّة، وأنه يريد للإنسان أن يعيش العدل في نفسه كإحساس وشعور، وأن يرفض التعاطف مع الظالم وإعانته، لأنه يسعى لإدخال العدالة في التركيبة الشخصية للإنسان المسلم التقي الذي يصنعه، لذا فهو يرفض الظلم كإحساس كما يرفضه كموقف. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن المجيد.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ النحل.

فللعدل مساحته الواسعة في العلاقات الإنسانية، الكلمات والمواقف، ففي كل موقعٍ من مواقع الحياة عدلٌ وظلم، و لم يؤكد الإسلام على شيءٍ كما أكد على العدل، فقد اعتبره الهدف الكبير لجميع الرسالات الإلهية، و قد تحدث عنه في الكلمة العادلة التي لا تحابي أحدًا حتى لو كان ذا قربى، و في الموقف العادل، حتى إذا كان لمصلحة العدو ضد الصديق، والحكم العادل لكل إنسان، وفي أيّ موقف، بعيدًا عن صفته الدينية وموقعه الاجتماعي، و انتمائه الجغرافي والقومي و العرقي، ذلك أن المرجع الوحيد في هذا الشأن هو الحق الذي يمتلكه صاحبه.

فيجب أن يُعطى صاحب الحق، حتى لو كان كافرًا، أما من عليه الحق، أو من ليس له حق، فيجب أن يخضع للحق، حتى لو

كان مسلمًا، وهذا هو شعار الدنيا، كما هو شعار الآخرة في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿17﴾ ﴾ غافر.

وإنّ مفهوم العدالة الاجتماعية تكتنفه النسبية إذ إنّه يختلف من اتجاه فكري إلى اتجاه آخر، ففي الشريعة الاسلامية تختلف طبيعة العدالة الاجتماعية عن طبيعتها في النظم الوضعية المقارنة اختلافاً بيناً، لاختلاف تصور الشريعة لها عن تصورات هذه النظم، حيث أنّ الشريعة جاءت أصلاً لإقامة العدالة بصورة عامة، والعدالة الاجتماعية بحاجة بين الناس بصورة خاصة (بدوي، 1970، ص184).

وبناء على ذلك، فإنّ البحث عن العدالة الاجتماعية ومفهومها في الإسلام مهم وأساسي للغاية، لما له من ركيزة في فهم الإسلام بشكل صحيح، وإثبات واقعيته كنظام صالح لأن يحكم البشر من خلال اطروحته الانموذجية المنتقاة من مصادره الأساسية. حيث أن العدالة الاجتماعية هي الحلم المنشود منذ آلاف السنين على هذه الأرض ولقد كان الناس يعيشون في ظل جاهلية وفوضى يسيطر فيها ذوو السلطان على غيرهم، واستمر الأمر على هذه الحال حتى جاء الدين الإسلامي وثبت الحق والعدل والسعادة حيث أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، على الرسول ﷺ ليكون دستور للناس أجمعين، وكانت العدالة الاجتماعية، مما أمر الله تعالى به في كتابه ونهى نهياً حاسماً عن مخالفتها (عدنان، 2007، ص17). ولقد كان العدل هو المقصد الأول للشريعة الإسلامية، حيث يقول المودودي (( إنّ الإسلام هو العدل بعينه. فإقامة العدل بين الناس، وتحديد ما هو العدل وما هو الظلم والجور، إنّما هو من شأن خالق الإنسان وربه ولا حق عند سواه أن يضع للناس مقياساً للعدل والظلم)) (المودودي، 1977، ص192).

### 3.1. العدالة الاجتماعية في منظور القرآن الكريم

تواتر حضور المسألة الاجتماعية في القرآن الكريم منذ بواكير عهد التنزيل الأول، فقد تضمنت السور المكية محاور أربعة هي: «التوحيد والنبوة والمعاد والمسألة الاجتماعية»، **فسورة الليل** التي

تعد أول ما نزل من القرآن المكي تضمنت المسألة الاجتماعية حيث ذُكر الاحسان إلى الفقراء والمحتاجين، وأشارت لأول عبادة يقررها القرآن الكريم وهي عبادة ليست موجهة إلى الله؛ بل باتجاه فعل اجتماعي مقصده التخفيف من الفقر والحرمان، وهي التزكي، أي التطهر بأداء مسؤولية الأمانة التي جعلها الله في عنق الإنسان، مسؤولية الغنى والثروة، وذلك بالبذل والعطاء للفقراء والمحتاجين، وهو ذات المسار القيمي الذي يترسخ مع سورة الماعون التي تحمل إشارة لطيفة إلى استلزام مراعاة المضامين الاجتماعية في العبادة ( الجابري،2012م، ص 50). وتعرض سورة عبس أركان العقيدة: النبوة بالحرص على ربطها بالعدل والمساواة أي المسألة الاجتماعية، وذلك بطرح ظاهرة الغنى وما عليه تقوم من أسباب، التوحيد ببيان أن أسباب الغنى هي من الله فهو الخالق وهو المدبر عبر سلسلة الأسباب، وتصل ذلك بمسألة المعاد كخاتمة (الجابري،2012م، ص108).

وتعد سورة البلد الأكثر تركيزاً على المسألة الاجتماعية والحديث عن الفقراء والمساكين، جاعلة من العدالة الاجتماعية السبيل الأوحد إلى اقتحام العقبة أي النجاة مع شرط الإيمان وما يستلزمه من التواصي بالصبر والمرحمة (الجابري،2012م، ص 167). وتتناول سورة الفجر المسألة الاجتماعية من خلال وصلها بظاهرة جشع الأغنياء والكسب الحرام، وفي سورة الضحى تناولت المسألة الاجتماعية من خلال الحث على معاملة الضعفاء من يتامى وفقراء معاملة حسنة والإحسان إليهم. هذا التطواف في آيات وسور من بواكير التنزل الأول للقرآن الكريم «القرآن المكي» يشير بجلاء إلى الحضور الجلي للمسألة الاجتماعية؛ على نحو خاص قضية العدالة الاجتماعية وتمثلها أحد المضامين الرئيسة لمحاور الخطاب القرآني سواء بسواء مع كلٍ من التوحيد والنبوة والمعاد. لقد تواترت مفردة العدل في القرآن الكريم في نحوٍ من ثماني وعشرين موضعاً، كما جاء الخطاب القرآني مستفيضاً استفاضةً بينة في ذكر نقيض العدل وهو الظلم، إذ تواترت الإشارات إلى ظلم النفس أو الغير، والتشنيع بالظلم والظالمين

وما يترتب عليه من العدوان والخوف والشقاق وغياب الطمأنينة، كما تضمن خطاب القرآن الكريم الدعوة إلى الثورة على الظلم والظالمين، والانتصار والانتصاف للمظلومين وبيان مصارع الظالمين (عصمت 2019، https:// www.cilecenter.org/ar/resources/articles-essays/cile2019).

ونتيجة لما سبق ذكره نستنتج بأنّ المسألة الاجتماعية وفي مركزها قضية العدالة الاجتماعية لازمت الخطاب القرآني منذ تنزله الأول بمكة؛ إذ جاء أول توجيه قرآني تعبدي باتجاه الفعل الاجتماعي المصوب تجاه تحقيق العدالة الاجتماعية وليس باتجاه العبادة الشعائرية المألوفة. ولئن شغلت المسألة الاجتماعية حيزاً بارزاً في الخطاب القرآني؛ فإنه لا بد من تأكيد الأطروحة الأساسية التي نتبناها وهي أنّ القرآن الكريم أسس لقضية العدالة الاجتماعية وتجلياتها وفق سياقات مختلفة . وإذ مثلت قضية العدالة الاجتماعية أولوية خطاب الهدى الرباني حيال هداية المجتمع الإنساني، وجاء ذلك موصولاً بأصول وكليات الاعتقاد الإسلامي؛ فإننا نصيب كبد الحقيقة حين نشير إلى أنّ القرآن الكريم تناول أسس التصورات لقضية العدالة الاجتماعية على نحوٍ هو أكثر شمولاً ودقةً، وهو ما غاب عن كثير من الأطروحات الفكرية في إطار الفكر الغربي. ولهذا نجد أنبياء الله (عليهم السلام) دعوا بعد التوحيد إلى حفظ ميزان العدل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإنساني (عدنان، 2007، ص19).

### 4.1. أسس ومرتكزات العدالة الاجتماعية:

لا يمكن الحديث عن العدالة الاجتماعية بمعزل عن منظومة قيمة الحق والقيم الإنسانية؛ نحو الكرامة الإنسانية والحرية والمساواة والانصاف، فهذه القيم تمثل منظومة قيمية متكاملة بحيث لا يمكن الإشارة إلى أحد هذه العناصر في عزلة عن سائر مكونات هذه المنظومة القيمية. ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

**1.4. المساواة الاجتماعية:** المساواة الاجتماعية ليست التكافؤ القسري للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأفراد المجتمع، بل هي ضمان إمكانية تحقيق

الجميع، دون استثناء، لممارسة حقوقهم الإنسانية والمدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي تتضمن المساواة أمام القانون وتكافؤ الفرص.

**2.4. تكافؤ الفرص:** مبدأ تكافؤ الفرص بالمعنى البسيط يشير إلى التساوي بين أفراد المجتمع في المجالات المختلفة في مجال التعليم والعمل وغيرها من مجالات الحياة المعيشية، إذ أنّ مبدأ تكافؤ الفرص ذو مناحي وأبعاد أكبر لا تقتصر على مجال دون آخر، وتكافؤ الفرص في المجتمع هو أحد الوسائل التي تساعد على تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الهوة بين كافة أطياف وفئات المجتمع.

**3.4. دولة الرفاهية:** هذا إحدى مفاهيم العلوم السياسية الذي بموجبه تكون الدولة هي المسؤولة عن تقديم الخدمات لمواطنيها، لإعمال حقوقهم الاجتماعية، بهدف مجتمع أكثر مساواة.

**4.4. الضمان الاجتماعي:** يُعد الضمان الاجتماعي من أبرز السمات التي تتميز بها معظم نظم الحكم الموجودة في عالم اليوم، ويُعتبر من أهم أحد الأركان الأساسية للعدالة الاجتماعية، ويشمل الضمان الاجتماعي الحق في الحصول على استحقاقات أو ضمانات مادية وغير ذلك، وفلسفة ذلك هو محاولة ربط نسيج الشعب وتقليل الفجوات بين أفراده دون تمييز، كما يتضمن عدة أمور من أمثلة، تقديم مساعدات مالية الى الأفراد الأكثر احتياجاً في المجتمع، تقديم رعاية صحية جيدة لكل طبقات المجتمع، كفالة الأفراد الذين ضمن طبقات فقيرة بمنحهم تعليما فعالا وعملا لائقا.

**5.4. إعادة توزيع الدخل:** يتعلق الأمر بمواجهة عدم المساواة في الدخل الاقتصادي داخل مجتمع معين، وتوزيع الإيجارات الاقتصادية بطريقة متساوية، لمنح المزيد من الموارد لمن هم في أمس الحاجة إليها، ويمكن القيام بذلك بعدة طرق، وأكثرها شيوعًا هي المساعدة الاجتماعية.

**6.4. الدفاع عن حقوق العمال والنقابات:** وهذا يعني حماية النقابات والنقابات العمالية والنماذج النقابية الأخرى التي تسمح للعمال بهامش دفاع ضد الاستغلال وعدم المساواة الاقتصادية، والتي تصبح مسألة

سلطات بين صاحب العمل والعمال. وستدعى الدولة، إذن، للعمل كوسيط في هذه المسألة (أزوتار،2020. https:// political-encyclopedia.org/ dictionary/ ). ومنه نستنتج أنّ العدالة الاجتماعية، فعلا تقوم على مرتكزات أساسية، منها: المساواة، تكافؤ الفرص، الحياة الكريمة والاحتياجات الأساسية لكل مواطن من: غذاء، مسكن، صحة، تعليم ،عمل إلى جانب حق الإنسان فى السعادة.

## المبحث الثاني: حماية المجتمع المفهوم والأهمية

**1.2. مفهوم المجتمع:** ليس هناك تعريف محدد و مقبول لمصطلح المجتمع، لأنّ الاستخدامات الشائعة له تشير إلى جوانب هامة في الحياة الاجتماعية. فالمعنى العام يعني مجموع العلاقات الاجتماعية بين الناس، أو هو كل تجمع للكائنات الإنسانية من الجنسين و من كل المستويات العمرية، يرتبطون معاً داخل جماعة اجتماعية لها كيان ذاتي و نظمها وثقافتها المتميزة. وهناك من يرى أن المجتمع جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة و متميزة تحتل حيزاً إقليمياً محدداً، و تتمتع بشعور الوحدة، و تنظر إلى ذاتها ككيان متميز، و يشبه المجتمع كل الجماعات الأخرى، في اشتماله على بناء من أدوار مترابطة، و سلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية، ومع ذلك فإنّ المجتمع يعتبر نموذجاً خاصاً لجماعة تتميز بنسق اجتماعي شامل ينطوي على جميع المؤسسات الاجتماعية الأساسية اللازمة لمواجهة الحاجات الإنسانية الضرورية، و يتميز المجتمع كذلك باستقلاليته، ليس بمعنى أنه مكتف بذاته من الناحية الاقتصادية اكتفاءً ضرورياً، و إنما بمعنى احتوائه على جميع أشكال التنظيم اللازمة لبقائه و استمراره فترة طويلة من الزمن (علي، وآخرون، 1985، ص45).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ إقامة العدل الاجتماعي تستلزم توطيد الكرامة الإنسانية والوفاء بالحقوق وبسط الحريات وتكافؤ الفرص وتوسيع قاعدة المشاركة الاجتماعية؛ هذا على صعيد الايجاب أما على جهة السلب فإن انتفاء الظلم الاجتماعي يقتضي ضرورة نفي

الاستغلال بكافة جذوره وضروبه والقهر والفقر والحرمان والإقصاء والتبعية والتهميش الاجتماعي. و «عندما تتحقق تلك الحالة في المجتمع يوصف بأنه مجتمع عادل، فلا يتعرض للظلم أو القهر من داخله أو من خارجه، ويقوم على مبادئ المساواة التي هي في الواقع جوهر «المواطنة»، ومبادئ التضامن الاجتماعي، واحترام حقوق الإنسان وحرياته وكرامته (العيسوي،2014، ص95 ).

### 2.2. المجتمع بين الشريعة الاسلامية وأهمية العدالة الاجتماعية أية علاقة

يرى بعض الباحثين على أنّ الشريعة الإسلامية لا تفرق بين العدل والعدالة في اللغة والاصطلاح، فكلاهما يؤدي إلى معنى واحد، وهو إحقاق الحق، بتطبيق أحكام الشرع، نميز أن الشريعة الإسلامية قد استعملت كلمة أخرى تؤدي معنى العدالة في الفكر العربي. قديمه وحديثه. وتسمو عليها وهي الإحسان (نامق، 2011، ص 91).

وفي التصور الإسلامي تتحدد أهمية معالم العدالة الاجتماعية، بالعدل والإحسان والشورى وحماية الضعيف، وإدانة الظلم والتوازن بين حقوق شعب وحقوق السلطة السياسية وجعل من أهم غايات النظام السياسي، أن يجعل محورة العدالة الاجتماعية على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة (نامق، 2011، ص 21). وقد تولى الدين الإسلامي شؤون الحياة الإنسانية، فكان له تصور كلي كامل عن الآلوهية والكون والحياة والإنسان، تجسد في القرآن والحديث وفي سيرة الرسول ﷺ وسننه العملية، وجسد الإسلام الحياة على أنها تراحم وتواد وتعاون وتكامل، وحدد الأسس وقرر النظم بين المسلمين على وجه خاص، وبين جميع أفراد الإنسانية على وجه عام، فكان هدف الإسلام، الوحدة المطلقة المتعادلة المتناسقة، والتكافل العام بين الأفراد والجماعات، وهذا هو أساس جوهر تحقيق العدالة الاجتماعية في ظل الإسلام التي تراعي العناصر الأساسية في فطرة الإنسان غير متجاهلة للطاقة البشرية (عدنان، 2007، ص23).

وبالتالي يمكن القول أنّ العدالة الاجتماعية من أهم المبادئ التي أرساها

الإسلام والتي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، والأسس التي تؤسس عليه العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم، والعدل هو المعيار الذي يدرك من خلاله ثبات المجتمع واستقراره، وبذلك عمل الإسلام على تثبيت وترسيخ قيمة العدالة بين الناس حتى ربط جميع نواحي الحياة بناءاً على أسس العدالة، فالعدالة مرتبطة بأنظمة الإدارة، والحكم والمواثيق بين الناس، والاقتصاد والتفكير، والأسرة والتربية وغيرها من أنظمة الإسلام المختلفة حتى أن التاريخ قد شهد على سلامة المجتمعات التي حكمها الإسلام، وكيف حماها من خراب العمران، وكيف حال المجتمعات من دمار النفوس وانحطاط الأخلاق.

**وإذا كان هذا التصور الاسلامي للعدالة الاجتماعية. فكيف يسعى إلى تحقيقها في المجتمع؟**

إنّ العدل الاجتماعي في الإسلام هو عملية إصلاح الأمة بأفرادها ومؤسساتها وهو مرتبط بالقيم الاجتماعية التي تحدد صيغ أداء فعاليات الحياة في أي مجتمع، أما في حالة فقدان العدل الاجتماعي بجميع أشكاله فسوف يلحق ضرر بالإنتاجية، مما ينعكس على الاقتصاد الوطني، لأن العدالة الاجتماعية هي مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، والعدالة تولد التوازن الاجتماعي على مستوى النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وهكذا يتم الوصول إلى العدالة الاجتماعية عبر التوزيع العادل للدخل على المستوى الاقتصادي (عن طريق الصدقة) أو عن طريق (الحسبة) التي تعد صورة من صور تدخل الدولة لمراقبة سلامة النشاط الاقتصادي، أما إذا كانت فرض الكفاية على الأفراد عن القيام بكافة أوجه النشاط الاقتصادي للمجتمع فإذا عجز الأفراد عن القيام بذلك أو أعرضوا عنها أو قصروا فيها أو انحرفوا ضدها، فإنّه مثل هذه الأحوال يصبح شرعاً لازماً على الدولة بأن تتدخل وتقوم بهذه الأوجه، كما يحرص الإسلام على كفالة حد الكفاية لكل فرد وعلى تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع والعدالة في التوزيع عند انتفائه (أبو بكر، 2007،ص ص167، 168). وكما جاء في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ الحشر07. وأيضاً

يتم الوصول إلى العدالة الاجتماعية في الشريعة الإسلامية من خلال نظام التكافل الاجتماعي الذي يهدف إلى قيام التوازن بالموازنة والميزان بين الأفراد والجماعات والطبقات أي أن التكافل الاجتماعي يقيم ويحافظ على النسيج الاجتماعي ويحقق الموازنة في حد الكفاية للمجتمع وضبط التفاوتات بضوابط الحلال الديني والكفاية في العطاء، ووضع سقف للتفاوت يمنع الاحتكار والأثرة والطغيان. أما الأساس الاخر الذي استندت إليه الشريعة الإسلامية لتحقيق العدالة الاجتماعية فهو الزكاة والضمان الاجتماعي و باللغة المعاصرة نستطيع أن نعرفه بالتزام الحكومة نحو شعبها، فالسلطة يجب أن تحرص على إبقاء الحد الأدنى من المعيشة اللائقة للشعب وتوفير المساعدة لكل من يحتاج إليها أيضا (منصور ،2005، ص147).

وبذلك يمكن القول أن تدخل الدولة في الاقتصاد الإسلامي هو فرض من فروض الشريعة الإسلامية إلى جانب جهود الأفراد، ويمكن بلورة هذا الدور في تحقيق الرفاهية المتوازنة في المجتمع من خلال الأخذ بكل مكونات الرفاهية وروافدها بقدر كافي دون إفراط أو تفريط خصوصاً في المجالات الروحية والمادية، وبذلك يمكن القول أن الشريعة الإسلامية تجعل كل من الفرد والمجتمع هو الهدف الأساس مع الأخذ بضرورة عدم التعارض في المصالح، فالإسلام يكفل كل من المصالح الخاصة والعامة ويضمن عدم إهدار بعضها على البعض الآخر، على أساس أن كل منها مكمل للآخر وإذا حصل التعارض ترجح المصلحة العامة على حساب المصلحة الخاصة (أبو بكر، 2007،ص196).

### 3.2. صور من تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام بين أفراد المجتمع

من صور تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام أن وضع مبدأ التكافل الاجتماعي ركنا من أركانه كما في الزكاة المفروضة أو من خلال الترغيب بالبذل والإنفاق كقربة من القربات، وذلك ليتحقق الأمان الاجتماعي لأفراد المجتمع بتحقق العيش الكريم لكل فئاته، فينظر الإسلام أن من العدالة أن يعين القوي الضعيف في ضرورات حياته عند عجزه

عن تحصيلها بسبب فقره أو عجزه، وإن العلاقة بين تحقيق الأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية أن الإسلام يبني مجتمعا متعاطفا متعاضدا متعاونا لا ينظر أفراده لتحقق مصالحهم الخاصة فقط بل يسعى كل فرد لخير نفسه وغيره.

ولقد جاء الإسلام ليقيم العدل بين النّاس ويرفع الظلم، وكان هذا العمل هو أساس أول من أسس دعوة المرسلين كافة كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿25﴾﴾ الحديد. وكما أشرنا سابقا لقد وردت العديد من الآيات مؤسسة ومؤكدة لإقامة العدل، فأمر عام بإقامة العدل في المجتمع ونهي عن ضده عن البغي في المجتمع، حيث جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿90﴾﴾ النحل. وأمر بإقامة الحكم بين الناس بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿58﴾﴾ النساء، كما خص أهل الإيمان بموعظة إلهية بإقامة العدل في أنفسهم وأن ذلك من التقوى فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿8﴾﴾ المائدة. ومن صور العدل التي جاء الإسلام لتحقيقها ما يصطلح على تسميتها حاضرا بالعدالة الاجتماعية وهي تتعلق بتحقيق المساواة بين أفراد المجتمع في أداء الواجبات ونيل الحقوق وتكافؤ الفرص بينهم حسب اجتهاد كل فرد منهم والتوزيع العادل للثروات بينهم، ونجد تقريرا للمبادئ العامة للعدالة الاجتماعية في نصوص

الشريعة الغراء، ففي الكتاب العزيز يقرر الحق سبحانه وحدة الجزاء بوحدة العمل لكل من الذكر والأنثى فالواجبات واحدة والحقوق كذلك - إلّا فيما اختلفت فيه الفطر فاختلفت جزئيات لأجل ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝١٩٥﴾ آل عمران.

وقد ورد في السنة النبوية ما يعد أعظم ميثاق للعدالة الاجتماعية والحرية المدنية عرفه الناس، فعند وصول النبي الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة وضع ميثاقا للتعايش بين أفراد ذلك المجتمع المتعدد عرف بصحيفة المدينة، التي عدها كثير من المفكرين أول نظام لدولة تنظم حقوق وواجبات أفرادها، ويصف المستشرق الروماني جيورجيو الصحيفة وما تضمنته من أسس للتعايش والعدالة الاجتماعية بقوله: «**حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بندا، كلها من رأي رسول الله ﷺ، خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دُون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أي عام 623م. ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده**» (التونجي، 1988، ص52). فتقرر الصحيفة التشارك في الحقوق وأداء الواجبات لكل الطوائف المتعايشة في المدينة المنورة، وقد تحقق ذاك واقعا في عصر الرسالة لا تنظيرا.

وقد خلد القرآن الكريم حادثة حفظت حق يهودي في تبرئة جانبه من تهمة ألصقت به بهتانا، فأنزلت آيات من سورة النساء تقرر مبدأ الحكم بالعدل بين الناس دون نظر للفوارق الإثنية بينهم

إلى أن تصل بتبرئة ساحة المتهم مما رمى به ، فكان مطلعها مؤكدا لذلك. ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿105﴾ ﴾ النساء، إلى أن قال: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿112﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿113﴾ ﴾ النساء. فهذا مثال واحد خالد على حقيقة ما جاء به الإسلام وطبقه من عدالة اجتماعية بين من يحيا في كنف دولته، واستمر الحال بعد عصر النبوة ترتسم الأمة ذات المنهاج.

وكذلك مثال آخر فهذا **الفاروق عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في خلافته يرى شيخا يهوديا يتسول ليدفع الجزية -حق مالي للدولة مقابل الحماية والرعاية- فقال له: « **مَا أَنْصَفْنَاكَ أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ** » ( ابن قيم الجوزية، 1997، ص 144). فأعطاه عمر، رضي الله عنه من مال المسلمين وأسقط عنه وعن أمثاله الجزية، والشواهد في تاريخ الإسلام كثيرة عديدة لا تحصر.

وإن من صور على إقامة الإسلام العدالة بين جميع من عاش في دولته بقاء العديد من غير المسلمين في البلدان التي فتحها المسلمون ينعمون بالحرية والأمن في معتقداتهم وأنفسهم وأموالهم ولم يفروا منها إلى يوم الناس هذا، بل إن التاريخ يشهد أن اليهود هاجروا مع المسلمين عند إخراجهم من الأندلس فرارا بأرواحهم من اضطهاد النصارى الإسبان، فانضموا للعيش في كنف الدول الإسلامية يقينا منهم بحفظ حقوقهم وعدم ظلمهم.

وإن من صور تحقيق العدالة الاجتماعية في الإسلام أن وضع مبدأ التكافل الاجتماعي ركنا من أركانه كما في الزكاة المفروضة أو من خلال الترغيب بالبذل والإنفاق كقربة من القربات،

وذلك ليتحقق الأمان الاجتماعي لأفراد المجتمع بتحقق العيش الكريم لكل فئاته، فينظر الإسلام أنّ من العدالة أن يعين القوي الضعيف في ضرورات حياته عند عجزه عن تحصيلها بسبب فقره أو عجزه، بل ينفي النبي ﷺ الإيمان على من لا يقوم بواجب المعاونة فعن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ» (الطبراني، 1994، ص259).

وإن العلاقة بين تحقيق الأمن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية أن الإسلام يبني مجتمعا متعاطفا متعاضدا متعاونا لا ينظر أفراده لتحقق مصالحهم الخاصة فقط بل يسعى كل فرد لخير نفسه وغيره، فعند عجز فرد منه يعينه البقية لأن في ذلك خيرلهم وله وهذا هو حق الولاية، فنجد في كتاب الله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿71﴾﴾ التوبة،

ويصدقه من السنة حديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى». (البخاري، د.ت، ص 2690).

وهنا يتميز الإسلام عن غيره من المذاهب الفكرية والحركات الاجتماعية في دعوته لتحقيق العدالة الاجتماعية كحاجة جماعية تضمن سلم ورخاء المجموع لا حاجة تخص كل فرد على حدة. وإن كان الإسلام فرض على المجتمع واجب التكافل لتحقيق العدالة فيما بينهم، فإنه من باب أولى دعا إلى العدالة في توزيع الثروات التي ترجع في أصلها لملكية المجتمع ككل، وأن لكل فرد نصيبا مكافئا لغيره فيها، ولذلك لا يحق التمييز بين الأفراد في نيل الحقوق على أسس غير المواطنة فيستوي الجميع في تحصيلها حسب الشرائط الموضوعية التي يمكن أن توضع لتنظيم الاستحقاق ولا يمكن أن يتقدم لنيلها من لا يملك تلك الشرائط ولا يتخلف عن نيلها من ملكها، لذا جاء الأمر الإلهي في هذا الباب مبينا أسس التوزيع

العادل للثروات قوله سبحانه: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ۗ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۖ (7) ﴾ الحشر.

ولذلك كان من الخطر على سلم المجتمع وأمنه أن لا يعمل بالعدل في هذا الجانب، وأن تتفشى المحسوبية والرشى والشفاعة السيئة التي تعرف عند العامة بالواسطة في تقديم من لا يستحق في نيل وظيفة أو قطعة أرض أو أي حق ليس له حق فيه ويترك أصحاب الحقوق ينظرون بحسرة ذهاب حقوقهم، فهذا عاقبته وخيمة على المجتمع بأسره، فالله سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلا بسبأ عندما رأى أغنياؤهم قدرة فقرائهم على السفر السهل للتجارة فحسدوهم في رزقهم فدعوا الله أن يبعد عليهم السفر ظلما وعدوانا فكانت العاقبة على الجميع، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۖ (18) فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۚ (19) ﴾ سبأ.

ولا شك أن السعي لتحقيق العدالة لجميع أفراد المجتمع حقيق على أن يحقق النماء والرخاء للدول، وأن يكون التفاضل بين الأفراد بما يبذلون من جهد وما يحوزون من فضل لا بما ولدوا فيه من لون أو عرق أو جنس، كما ورد في الحديث: ( عَنْ أَبِي نَضْرَةَ حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلاَ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ ». قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (بن حنبل،د.ت، ص 453). فالنّاس سواسية كأسنان المشط.

## المبحث الثالث: العلاقة بين العدالة الاجتماعية وحماية المجتمع

### 1.3. فوائد العدالة الاجتماعية وانعكاسها على حماية المجتمع:

فوائد العدالة الاجتماعية هي العديدة والمتعددة، فهي تساعد على بناء مجتمع متناغم ومستقر، وتعزز الشعور بالانتماء للمجتمع بين أفراده، وتقلل من حدة الفقر والظلم الاجتماعي، كما يأتي:

1 - تعزيز الاستقرار الاجتماعي والنمو الاقتصادي، إذ تتيح للأفراد الفرصة العادلة في المجتمع.

2 - تعزيز العدالة والمساواة بين جميع أفراد المجتمع، فيما يتعلق بفرص العمل وتوزيع الثروة والامتيازات.

3 - تساعد على إنصاف الأفراد وإعطائهم الفرصة المتساوية في الحصول على حقوقهم المتعلقة بالتعليم والصحة والإسكان والخدمات العامة.

4 - تقود إلى تحسين نوعية الحياة للمرء والمجتمع، حيث إنها تعمل على تخفيض الفوارق الاجتماعية وتسهيل سياسات توزيع الثروة.

5 - تحد من الفقر والظلم الاجتماعي وتلبي احتياجات الناس، حيث تعزز العدالة في توزيع الموارد الاقتصادية وتوفير الخدمات الحيوية.

6 - تعزيز المواطنة والشعور بالانتماء للمجتمع، حيث يشعر الأفراد بعدم التهميش وعدم التمييز.

7 - فهم فوائد العدالة الاجتماعية يحمي المجتمع ويزيد من تلاحمه، حيث يستمتع الأفراد بالعدالة والمساواة والرفاهية ويتمتعون بحقوقهم بشكل كامل (https://www.law-house.net/author/admin/، 2023، law-house).

### 2.3. تمكين العدالة الاجتماعية طريق إلى حماية المجتمع:

العدالة الاجتماعية تحقق الأمن الاجتماعي والطمأنينة داخل المجتمع وبين أفراده وأسره، فطبيعة الإنسان أنه يتمسك بحقوقه ويحرص على المطالبة بها، بالإضافة إلى أنه شديد الحرص على حرياته فإذا قام المجتمع بتأمين ذلك وساعده في الحصول على حقوقه ووفر له جميع الوسائل، ولا سيما العدالة الاجتماعية عاش آمنا مطمئنا ويتمتع

بأمن نفسي داخلي، يعزز تفاعله مع غيره من الأفراد ويعزز انتمائه وولائه لهذا المجتمع الذي ينتمي إليه، فالعدالة الاجتماعية من أهم القيم الاجتماعية التي، يعتمد عليها المجتمع في استقامة أفراده وأحكامه وفق لقيمة العدالة يقتضي حتما إفشاء قيم اجتماعية أخرى لها أهمية ودور بليغ في تحقيق الأمن، فهذا الأخير مرهون بقيمة العدالة، كما أن الظلم يقضي على وجوده لان غياب الأمن يهد المجتمع، لذلك تعتبر العدالة الاجتماعية هي الأساس في بناء الأمن الاجتماعي لما لها من علاقة تكاملية مع باقي القيم والمعايير المجتمعية.

### 3.3. تحقيق العدالة الاجتماعية قوة لكل مجتمع:

لكل مجتمع مجموعة من القيم والمعايير والثقافات والسياسات هذه المكونات تعتبر هي القوة الحقيقية للمجتمع، بالإضافة إلى سياسته للحقوق والواجبات والحريات والحرمات بالعدل مقارنة بالمجتمع الذي يسوده القهر فهو فارغ من الداخل ومحدد بالفشل والانهيار لأتفه المواقف والأسباب، ويسوده العنف والعدائية بين أفراده، فالعدالة هي مصدر النجاح وقيام وازدهار كل مجتمع يسعى للتنمية المستدامة حيث أنها تعمل على نشر القيم الإيجابية التي تعود للأفراد والمجتمع بالفائدة، وتحقق الأمن النفس، فالعدالة تحول النفوس الضعيفة إلى نفوس قوية تصنع النصر لأنفسها، ولأن الظلم عكس العدالة فإنه يفضي إلى عكس ما سبق؛ حيث يؤدي إلى مجموعة من المظاهر الآتية:

- الظلم طريق لفقدان المناعة الاجتماعية، وهذا ما يدفع بالوصوليين والفاسدين من الوصول إلى المراكز القيادية والتحكم في زمام الحكم مما يؤدي الى سيادة الفساد بجميع انواعه.
- الظلم مؤذن بانتهاك الحقوق والحريات؛ إذ تهان كرامة الأفراد وتتدهور أوضاع المجتمع مما يؤدي في الأخير إلى انتشار العنف والتمرد.
- يؤدي الظلم إلى فساد الأخلاق والقيم المجتمعية وانتشار التحايل والخداع والرشوة بين أفراده.
- الظلم أكبر قاتل للإرادة والعقل عند أفراد المجتمع، وبهذا يفقدون

الـوحـدة والـعـزيـمـة ويـنـتـشـر بـيـنـهـم الاختلاف والتصادم والصراع (العيدي، فلوس،2019، ص -71 90).

### 4.3. بعض أبعاد وصور العدالة الاجتماعية وعلاقتها بحماية المجتمع:

تتمظهر صور العدالة الاجتماعية في زوايا مختلفة، ففي الجانب السياسي تبرز العدالة الاجتماعية بوجود نظام سياسي عادل، وفي البعد الاقتصادي تبرز العدالة الاجتماعية وتتمظهر في التوزيع العادل للثروات، والتخطيط الاستراتيجي في إدارة الأموال، وتأسيس المشاريع المنتجة، ووجود نظام اقتصادي يرتكز على العدل في العمل والحقوق، وتوافر المستلزمات المعيشية للجميع من دون تمييز أو تفريق بغير حق. وفي الجانب القانوني والحقوقي تتجلى العدالة الاجتماعية في وجود قوانين تنظم الحقوق والواجبات للأفراد والمجتمع، ووجود احترام حقيقي للإنسان وكرامته، وتمتعه بممارسة كافة حقوقه المشروعة دون خوف أو وجل. ومنه نعرض بقية صور العدالة الاجتماعية في مختلف أبعادها ونبينها كما يلي:

**01. البعد البشري:** وذلك من خلال تنمية قدرة والأفراد ومهاراتهم والعمل على توسيع مجال الحرية لديهم، وكما هو معروف أن الفرد داخل المجتمع لا يتجلى حقوقه في مجرد الحق في الأمن فقط بل يتعدى ذلك ليستوفي الحق في العمل والمسكن والغذاء، كما أن العدالة لا تقتصر في هذه الأبعاد وحسب، بل تتجلى أيضا في العدالة بين الجميع بما فيها بين الرجل والمرأة، مما يؤدي شعور كل أفراد المجتمع بالأمن وبالتالي تتظافر كل الجهود في تحقيق التنمية.

**02. البعد الاجتماعي:** ونجد مظاهره تتجلى في القضاء على مشكلات التمييز بين أفراد المجتمع بحكم الظروف التي يعايشونها كالفقر والحرمان وهذا ما يدفعهم إلى معالجتها لمحاولة تمكين هؤلاء الأفراد من تحسين ظروفهم وأوضاعهم الاجتماعية باستمرار، وبطبيعة الحال هذا لا يأتي من فراغ بقدر ماله علاقة كبيرة بالتعليم والصحة ...الخ، فيتوجب الاهتمام بهذين القطاعين خاصة، لما لهما من دور فعال في خلق أمن صحي وثقافي للأفراد وتحسين ظروفهم.

**03. البعد الاقتصادي:** ويكمن هذا البعد في مدى مشاركة أفراد المجتمع في النشاط الإنتاجي، وهذا ما يحدثنا عن مبدأ المساواة في الفرص الاقتصادية وحقوق الأفراد فيها خاصة في مجال العمل وملكية وسائل الإنتاج، بالإضافة إلى المساواة في الحصول على الخدمات دون التمييز بين الأفراد وهذا ما ينعكس على شعور الأفراد إيجابا ويشعرهم بالأمن الاقتصادي (العيدي، فلوس، 2019، ص71 - 90).

**04. البعد الإقليمي:** كما هو معروف أن أفراد المجتمع يتوزعون في جميع المناطق والاتجاهات فليس العدل التمييز بينهم بناء على هذا البعد، فالبعد هنا لا يمنع الأفراد في الحصول على حقوقهم بدافع الإقليم الذين يعيشون فيه، فالعدالة الإقليمية والجهوية تخلق الوحدة والاندماج وذلك بدوره يؤدي إلى انتشار الأمن الاجتماعي وشيوعه بين الجميع.

**05. البعد المؤسسي:** فللمجتمع عامة بعض المؤسسات التي تنشط أو تنشأ أساسا للدعوة بحقوق أفراده ومشاركتهم في صنع القرارات التي تخص المجتمع الذي ينتمون إليه، فهذه المؤسسات من ينشؤها الأفراد بهدف المطالبة بحقوقهم وممارسة واجباتهم بناء على مبدأ العدالة الاجتماعية.

**06. البعد الثقافي:** من أهداف هذا البعد هو العمل على تنمية القيم التي تسود المجتمع ونشرها بين جميع الأفراد وبمختلف الوسائل، فضلا على خلق الشعور بالالتفاف حول المقومات الوطنية والرموز الثقافية المشتركة والاعتراف بالاختلاف، والاعتزاز بالهوية الاجتماعية لدى أفراد المجتمع بعيدا عن مظاهر التفكك الاجتماعي؛ بحيث يستشعر الجميع العدالة الثقافية، بالإضافة إلى تنمية إبداعاتهم نحو العمل والاجتهاد والمنافسة فيما بينهم، لأن الجانب الثقافي هو أساس الإبداع والإبداع هو أساس تقدم وازدهار المجتمع، كما أنه من حقوق الأفراد المعرفة والاطلاع والبحث لذلك يحمل المجتمع مسؤولية نشر هذه المعارف لتثقيفهم كل حسب الوسائل التي تناسبهم وتناسب قدراتهم المعرفية (مركز المشروعات الدولية الخاصة، 2014، ص11).

### 5.3.أبرز المعوقات والتحديات التي تحول دون تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع

بالنسبة للتحديات والمعوقات فهي كثيرة ومتعددة، ومن أبرزها: الابتعاد عن قيم الدين ورؤيته عن العدل، وغياب الديموقراطية الحقيقية، وانتشار الفساد المالي والسياسي، وسيطرة الدكتاتورية والاستبداد، والتخلي عن قيم الحرية والمساواة واحترام الإنسان... وغيرها من العوائق التي تحول دون تحقيق العدالة الاجتماعية، وإذا ما أردنا الوصول إلى تطبيق العدالة فعلينا جميعاً العمل على تجاوز تلك المعوقات، والعودة إلى روح الإسلام وتعليماته، ونشر ثقافة الحرية والمساواة والعدل والشورى.

### الخاتمة:

يتضح لنا - مما سبق ذكره - إذا كانت العدالة الاجتماعية قد دخلت في سلم أولويات الشعوب واحتلت حيزاً كبيراً في تفكير واهتمام الحركات الاجتماعية والسياسية، واختلطت بنضالها من أجل الخروج من نير المستبدين والتمتع بحق الحرية والمساواة والعيش الكريم. وبالعدالة يعيش الجميع بأمن وسلام، كما أنّ التقدم والتطور متلازم مع وجود العدالة، وكلما تحققت العدالة ازداد إيمان الناس وقناعتهم بالعمل المخلص والجاد في سبيل تطوير المجتمع، وبأنّ العدالة تساهم في خلق التنافس الإيجابي، وتخلق الحافز القوي نحو تفجير المواهب والطاقات، مما يؤدي إلى الإبداع والابتكار. ومن ثم يشعر المجتمع بالسعادة والرفاهية والراحة. ونتيجة لذلك، أنّ العدالة الاجتماعية تمثل عنصرا أساسيا في عملية اصلاح النسيج الاجتماعي في المجتمع، وذلك لأنّها تحتوي على مجموعة من العناصر متمثلة في المساواة وتكافؤ الفرص والانصاف والمشاركة والحرية ورفض الظلم والاستبداد واعتماد التعددية والقبول بالآخر المختلف والتسامح واحترام حقوق الأنسان واستقلال القضاء واستقلالية الجامعات ومحاربة العنف وتجريم وتحريم وتأثيم الفساد والفتن والتعصب القومي، والحد من البطالة ومكافحة الفقروالأمية وغيرها من المبادئ والمطالب التي تنتهي سياسيا بالنتيجة إلى الادارة العادلة للشأن العام في الدولة، ومنه

يمكن أن نتوصل إلى عرض أهم النّتائج النّتالية:

## استنتاج عام لأهم النتائج

إنّ أهمية أي بحث علمي تنبع من تلك النتائج التي يثيرها، ومن خلال هذا البحث توصلنا إلى:

1. إنّ مفهوم العدالة الاجتماعية، هو مفهوم عام يشمل كل مجالات الحياة، وذلك لأنّ موضوعه هو المجتمع، وأساسه الأول هو العدل. والإسلام حقق العدالة الاجتماعية وحارب الظلم بشتى أنواعه.

2. عدالة الإسلام ويسر تكاليفه كانت ولا زالت من أهم عوامل انتشاره و بقائه مهيمنا في الأرض فقد أخذ بمعيار العدل بين جميع أفراد النّوع البشري حكما وتكليفا ومعاملة دون أن يغفل القدرة والاستطاعة عند طلب الامتثال في الأمر والنّهي.

3. العناية بالأسرة لأنّها تمثل النّواة الحقيقية الأولى للمجتمع المصغر الذي يتدرب فيه الفرد على الاستعداد لمخالطة المجموع ومعاشرتهم بالحسنى مما تربى عليه من فضائل النّبل وكريم الخصال وحميد الأخلاق من معاني الألفة والرحمة والمودة الّتي تقوم عليها دعائم الحياة الأسرية في الإسلام.

خلص الباحث إلى أنّ أطروحة العدالة الاجتماعية وفق الرؤية القرآنية تجيء متمثلة لمنهج متكامل تقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً، وفق سياق القيم الأخلاقية المتلازمة لتُعبر هذه القيم عن منظومة غاية الكمال والجمال والاستقامة والثبات، مفضية في مطافها الأخير إلي الحق تعالى.

4. رعاية المجتمع وإقامته على ركائز متينة وخصائص جليلة من الّتقوى والإخاء والّتعاون والعدل وتدعيم عوامل صلاحه وتمتين رباطه وتوطيد صلاته وحمله على أكف الرحمة والهداية ليبلغ ما يقصده الشرع من مقام سام وما يرجوه له من مكان عال متجاوز في نظرته تلك الحياة الدنيوية القاصرة .

5. خلص الباحث إلى أنّ العدالة الاجتماعية تعد من أكثر الموضوعات قدسية وشيوعاً في السلوك الاجتماعي تقوم على أساس التوزيع العادل للدخل القومي بين طبقات المجتمع المختلفة الذي يعد العنصر الأساس للعدالة الاجتماعية، لكونه يقلل من الفوارق

الاجتماعية بين طبقات المجتمع الواحد ويعمل على تحقيق المساواة في فرص الحياة وتوسيع مجالات تنمية الامكانات الذاتية للأفراد واستغلالها بأقصى درجاتها لكون التفاوت في القدرات الذاتي لأفراد المجتمع امراً طبيعياً، فالعدالة الاجتماعية هدفها تذليل أي عقبات قد تواجه التساوي في كل فرص الحياة، وهي منظومة فكرية، اقتصادية، اجتماعية تشمل المساواة والعدل والتمكين وإتاحة الفرص للجميع وتتضمن في الأنظمة السياسية المتنوعة عن طريق الدساتير والقوانين.

6. وختاما واستخلاصا من النتائج السابقة نستخلص أن هناك صلة وثيقة بين العدالة الاجتماعية والنظام الاقتصادي والاجتماعي للدولة فهي مبدأ أساس من مبادئ التعايش السلمي يتحقق في ظله الازدهار وتحسين الأحوال المعيشية للفقراء والحد من الاختلالات في توزيعات الدخول والثروات وتحقيق التكافل الاجتماعي وضمان الحقوق للأجيال المستقبلية.

**أهم المقترحات:** وأخيرا أورد بعض المقترحات التي تراءت للباحث والتي من شأنها أن تؤدي إلى تحسيس العدالة الاجتماعية بأهمية قيامها بأدوارها في الوسط الاجتماعي وهي كالآتي:

- تعزيز القيم والاتجاهات الإيجابية من خلال الأدوار الأساسية التي يمكن للعدالة الاجتماعية أن تساهم من خلالها في إرساء قيم جديدة واتجاهات إيجابية.
- تحرير العقل وتنمية القدرات الإبداعية عن طريق خلق الإنسان المبدع القادر على التفكير الاستقلالي والموضوعي.
- يفترض على العدالة الاجتماعية الملاحقة المستمرّة للتغيرات ذلك لأن طبيعة العصر ومتغيراته بلغت من السرعة مبلغاً هائلا حتى أنّه لا يمكن تصور ما ستؤدي إليه في نوعية الحياة نفسها ، وهذا يتطلب المتابعة المستمرّة للعدالة الاجتماعية وتجديدها للتوائم مع احتياجات العصر وتحقيق التغير الاجتماعي الإيجابي.
- عقد الملتقيات والندوات لبحث مفهوم العدالة الاجتماعية وسبل تحقيقها من الجوانب المتعددة :

التاريخية، والفلسفية، والإنسانية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والدينية.

**مسارات مقترحة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية:** من خلال هذا البحث ومحاولة لاستقراء الواقع تأمليا يمكننا أن نقدم جملة من الآفاق التي عسى أن تكون توصيات يمكنها الاستفادة منها في تفعيل دور العدالة الاجتماعية في واقعنا اليوم؛ وفي ظل التحديات التي يعرفها المجتمع واستنادا إلى القراءة التحليلية لهذه المداخلة يقترح الباحث ببعض التوصيات المهمة إضافة إلى مقترحات لدراسات اخرى وهي كالآتي:

- وضع سياسة إعلامية تتناول معنى وسبل تحقيق العدالة الاجتماعية مع إعطاء الأهمية القصوى لدور المواطن في تحقيق هذه العدالة وتوضيح جهود الدولة في هذا الصدد ونشر المعلومات الصحيحة من قبل الأجهزة المعنية حتى لا يقع المواطن فريسة للشائعات والأكاذيب التي يتم إطلاقها بشكل موظف ومدروس لإشاعة الإحباط واليأس في نفوس الجزائريين.
- زيادة التعاون بين مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني وجعلها شريكا أساسيا فى وضع برامج وسياسات الحماية الاجتماعية وشريكا فاعلا أيضا في تنفيذ هذه السياسات.
- إنشاء قاعدة بيانات دقيقة تشمل بيانات الفئات المهمشة والأشد عوزا ومستحقي عوائد برامج الحماية الاجتماعية.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**أولا: المصادر**

- القرآن الكريم

- الحديث الشريف

- ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، ج4، القاهرة: دار المعارف.

**ثانيا: القواميس والمعاجم**

- الفيروزي مجد الدين محمد بن يعقوب، (2005)، معجم القاموس المحيط، ط 1، لبنان: دار المعرفة.

- البستاني فؤاد أقوام، (2000)، منجد الطلاب، بيروت: دار المشرق.

- نخبة من اللغويين بمجتمع اللغة العربية بالقاهرة، (1976)، المعجم الوسيط، ط2، بيروت: دار الفكر.

- أبو الحسن أحمد بن فارس، (1991)، معجم مقاييس اللغة، ج1، د.ب: دار الفكر.

**ثالثا: المراجع**

- أزوتار أحلام، (2020)، العدالة الاجتماعية، الموسوعة السياسية، نشر بتاريخ: 26- 09- 2020. تم تحميل المادة يوم: 27/ 09/ 2023م . على الساعة: 10:30 ليلا. على الرابط التالي: https://political-encyclopedia.org/dictionary/

- أبو علي المودودي،(1977)، الحكومة الإسلامية، نقله إلى العربية أحمد إدريس ط1، القاهرة: المختار الإسلامي للطباعة والنشر .

- أبو بكر، خميس محمد هرون، (2007)، العدالة الاجتماعية كأهم ركائز البنيان المالي في الشريعة الإسلامية وفي الأنظمة لوضعية المعاصرة مع الإشارة إلى مصر: أطروحة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة .

- أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد، (1994)، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، ج1، القاهرة: دار النشر: مكتبة ابن تيمية، تاريخ التحميل .https://shamela ws/book/1733/872#p1 .

- إبن حنبل أحمد، (ت241ه)، مسند الأمام أحمد بن حنبل، التحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ج5، د.ب: مؤسسة الرسالة.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1997)، كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية، ت: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، ط1، ج1، الدمام: رمادى للنشر. .https://shamela ws/book/21747/65#p1

- البخاري محمد بن إسماعيل،(د.ت)، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، (8/ 10)، لبنان، بيروت: دار ابن كثير .

- بدوي ثروت، (1970)، أحوال الفكر السياسي والنظريات والمذاهب السياسية الكبرى، القاهرة: دار النهضة العربية.

- جيورجيو كونستانس، نظرة جديدة في سيرة رسول الله ﷺ، تر: محمد التونجي، (1988)، عن: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، بيروت: دار الحضارة العربية، https://altibrah.ae/book/25976

- الجابري فاضل، (1418ه)، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ط1، د،ب: المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

- الجابري محمد عابد، (2012)، فهم القرآن الحكيم. التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، ط4، ج1، بيروت: مركز دراسات الوحدة.

- الجرجاني الشريف علي بن محمد، (2003)، كتاب التعريفات، ط1، لبنان: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر.

- حامد الخلف عبد الله، (2005)، دور التوعية في التنشئة الاجتماعية، الرياض: مكتبة الفيصل.

- عصمت محمود أحمد سليمان، (2019)، العدالة الاجتماعية وقضايا الفقر في عالمنا المعاصر مقاربة للتأسيس الفلسفي متضمنة قاعدة القيم المتلازمة، الورقة في المؤتمر الدولي السابع لمركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق - 23 مارس 2019. https://www.cilecenter.org/ar/resources/articles-essays/cile2019

- عدنان عزيز الميالي أحمد، (2007)، العدالة الاجتماعية عند الإمام علي ابن أبي طالب، رضي الله عنه، جامعة بغداد: رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية.

- على محمد، محمد وآخرون، (1985)، مصطلحات اجتماعية، القاهرة: د، ن.

- العيسوي إبراهيم، (2014)، العدالة الاجتماعية والنماذج التنموية، ط1، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- العيسوي عبد الرحمن، (1997)، مناهج البحث العلمي، القاهرة: دار الراتب.

- العيدي صونية، مسعودة فلوس، (2019)، دور العدالة الاجتماعية في تحقيق الأمن الاجتماعي: دراسة نظرية، مجلة التغير الاجتماعي، مجلد 04، العدد 02 بسكرة: جامعة محمد خيضر،

- قطب سيد، (1964)، العدالة الاجتماعية في الاسلام، ط6، القاهرة: دار الكتب العربية.

- منصور أحمد إبراهيم، (2005)، عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية، رؤية إسلامية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية - law-house، 2023)، مفهوم العدالة الاجتماعية،

تاريخ النشر: 18/ 06/ 2023م وتاريخ التحميل: 28/ 09/ 2023. https://www.law-house.net/author/admin/

- مركز المشروعات الدولية الخاصة، (2014)، الطريق إلى العدالة الاجتماعية، القاهرة: مصر الجديدة.

- المنتدى الاستراتيجي للسياسات العامة ودراسات التنمية، العدالة الاجتماعية بين واقع التحديات وحتمية المواجهة، مجلة دراية، الاتحاد المصري لسياسات التنمية والحماية الاجتماعية، على الرابط: https://draya-eg.org/2023/03/09/

- نامق حسين إسماعيل، (2011)، العدالة وأثرها في القاعدة القانونية القانون المدنى نموذجا دراسة مقارنة بالشريعة الإسلامية، مصر: دار الكتب القانونية.

- وافي علي عبد الواحد، (2016)، علم الاجتماع، مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

# مقاصد بناء الأسرة في المنظور القرآني

بقلم : أ.د. كمال لدرع
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

## المقدمة:

اعتنى القرآن الكريم بشأن الأسرة اعتناءً كبيرا نشأةً وبناءً ووظيفةً ورسالةً، ذلك أنه يعتبرها أساس بناء المجتمع وتماسكه وقوته ومتانة علاقاته. فاهتم القرآن الكريم بالأسرة بدأ من نواة نشأتها وهو الزواج، ثم في تنظيم العلاقة بين الزوجين والحقوق المتبادلة بينهما، ثم عن دورها ووظيفتها ورسالتها.

وإذا اعتبرنا المجتمع بناءً فلبناته هي الأسر، أي أن كل أسرة فيه تشكل لبنة منه في صرحه الكبير. بل إن الأسرة تُعدّ مجتمعا صغيرا يعكس حالة المجتمع الكبير، فأحوال المجتمع في جوانبها المادية والمعنوية تعكس حال كل أسرة فيه، أو أن كل أسرة فيه تعكس أحوال المجتمع العامة. إن المجتمع ليخطو خطوات نحو التطور والرقي أو يتقهقر بفضل صلاح أسره واستقرارها أو فسادها وتفككها.

والأسرة مجتمع صغير، فكل فرد فيها تتنوع وظيفته أو يتحدد دوره ومن ثم تتغير صفته بحسب ما يناط به من أعباء أسرية، فالفرد يكون زوجا، فتنشأ عن صفة الزوجية وظيفة، وتترتب عنها حقوق ووجبات تجاه الطرف الثاني، ثم إذا ولد له مولود تحوّل إلى والد أو والدة أي أب أو أم، فتناط به أعباء أخرى كالرعاية والتربية، ثم عند تزويج ابنته تصبح له صفة الولاية، وهكذا.

إن القرآن الكريم عندما يتحدث عن بناء الأسرة كمقصد كبير وما يترتب عنه من مقاصد جزئية، إنما يتحدث عنها في إطار منظومة متكاملة، تنطلق من آية الله تعالى في خلق الذكر والأنثى، وسنة التزاوج، وغاية العبودية لله تعالى، ومهمة

الاستخلاف في الدنيا، وعمارة الأرض بالخير والصلاح، والتناغم مع سنن الله تعالى في الكون.

وأصل هذه الورقة البحثية مداخلة تم تقديمها في الملتقى العلمي حول القرآن الكريم وحماية الأسرة والمجتمع من 21 إلى 25 ربيع الأول 1445هـ الموافق 7 إلى 11 أكتوبر 2023م في إطار الأسبوع الوطني للقرآن الكريم بولاية عنابة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم – مقاصد – الأسرة.

## أولا: أهمية الأسرة في القرآن الكريم:

إن كثرة النصوص القرآنية التي تتحدث عن الأسرة بعبارات مختلفة ولأغراض شتى لتدل على الأهمية التي يوليها القرآن الكريم لهذه الخلية الاجتماعية، التي يتوقف عليها صلاح المجتمع، وقوة الأمة ودورها الحضاري.

واللافت للانتباه أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الأسرة سواء كانت صالحة أو غير صالحة على أنها أسرة دائمة تستمر آثارُها إلى يوم القيامة، فإذا كانت صالحة يجتمع شملُها في الجنّة كما اجتمع شملها في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿21﴾ ﴾ الطور، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿7﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿8﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿9﴾ ﴾ غافر.

أما الأسرة غير الصالحة كذلك آثارها تستمر إلى الآخرة، فتشهد تفككا ونفورا يوم القيامة عند العرض والحساب كما كان حالها في الدنيا، فتجد الواحد من أفرادها كالأب مثلا يريد أن يفدي نفسه بزوجته أو بأولاده من أجل أن

ينقذ نفسه من عذاب الله، بخلاف المؤمن الذي يشفع في أهل بيته، قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (14)﴾ المعارج، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)﴾ عبس.

## ثانيا: بناء الأسرة وتكونها في نظر القرآن الكريم:

### 1 - الذكورة والأنوثة عامل تنوع وتكامل داخل الأسرة:

فتشكيل الأسرة ينطلق من وجود الذكر والأنثى، وهما من سنة الزوجية في الكون، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49)﴾ الذاريات، وفي شأنهما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (45) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ (47)﴾ النجم، وقال أيضا: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (39) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (40)﴾ القيامة، فخلق الإنسان ذكرا وأنثى من آيات الله تعالى في الكون الدالة على حكمته وقدرته وعلمه سبحانه وتعالى، قال عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (4)﴾ الليل.

والقرآن الكريم يخبر عن حقيقة وهي: أن أصل خلق الأنثى كان من الذكر، فهي بضعة منه، وفي ذلك تنبيه على قدرته تعالى الذي خلق الناس جميعا من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام، وخلق منه زوجه، وهي حواء، حيث خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه[1]، وهو ما يُستشفُّ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء 1، والآية في مدلولها تعبر عن قوة العلاقة بين الذكر والأنثى، وأنها ليست غريبة

عنه، بل هي بضعة منه وخلقت منه[2]، وفي الحديث الصحيح: (وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[3]، قال ابن كثير: (ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلَّهم ذكوراً وجعل إناثَهم من جنس آخر من غيرهم، إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم)[4]. ثم يخبر في موضع آخر بأن خلق الأنثى للذكر من النعم والطيبات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا﴾ الروم21، فقوله تعالى: ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم﴾ يشير إلى وجه النعمة في خلق الأنثى للذكر، لما أودع الله تعالى في الأنثى من محاسن وعطف وحنان ومتعة، كما فيه معنى الحفظ والأمانة، أي أن الذكر مؤتمن عليها.

ثم إن الذكورة والأنوثة المتمثلة في الزوجين عامِل أُلْفَة وانسجام بينهما في بناء الأسرة، والقيام بشؤونها، ورعاية الأولاد، فالأنثى لها من الطاقات والمواهب والقدرات ما ليس للذكر، وله ما ليس لها، فيحتاج كل منها إلى ما عند الآخر فيحصل بينهما التعاون والنفع، أي تحصل بهما سنة التسخير، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿32﴾﴾ الزخرف، وسنة التسخير كما تكون بين أفراد المجتمع ليحصل بينهم الانتفاع والترابط، تكون أيضا بين أفراد الأسرة وبخاصة الزوجين ليحصل بينهما التكامل على ما فيه صلاح العائلة. والملاحظ أن الفرد داخل الأسرة تتنوع وظيفته بحسب صفته وموقعه فيها، فصفة الزوجية لها وظيفة، وصفة الأبوة لها وظيفتها، والبنوة لها وظيفتها، وعن كل ذلك تترتب حقوق وواجبات.

## 2 - الزواج الفطري الشرعي أساس بناء الأسرة:

نجد نصوصا متعددة ترغب في الزواج والحصول على النسل، وتحث عليه بحسب القدرة والاستطاعة، لتلبية الحاجات الفطرية، وللإكثار من بناء الأسر الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿32﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ ۖ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ النور32 - 33، وقال عزّ وجلّ: ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿25﴾ ﴾ النساء.

والزواج عملٌ صالح، ومن أنواع التعبد[5] لله تعالى، وسبيلُ تحقيق مهمة الاستخلاف، وتترتب عنه مصالح مختلفة، ومنافع عامة وخاصة. ولأجل الترغيب في الزواج ذكر القرآن الكريم أن الزواج سنة الأنبياء والمرسلين، وأنهم تزوجوا وأنجبوا أولادا، ولم يثنهم ذلك عن أداء رسالة التبليغ والدعوة إلى الله تعالى، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿38﴾ ﴾ الرعد.

وغاية الزواج هو بناء الأسرة والحصول على النسل وتكثيره[6]، قال الشاطبي: (النكاح فإنه مشروع للتناسل على القصد الأول)[7]، وقال أيضا: (والنكاح لا يخفى ما فيه مما هو مقصود للشارع؛ من تكثير النسل، وإبقاء النوع الإنساني)[8].

وأمل الزوجين الإنجاب، فراعى القرآن

الكريم هذا الشعور، فاعتبر الأبناء والبنات زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ الكهف 46، وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿74﴾ ﴾ الفرقان، وحثت السنة النبوية على الإنجاب وتكثير الأولاد باختيار المرأة الولود، جاء رَجُل إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ **إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَنَهَاهُ فَقَالَ: (تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُم)**[9].

والعالم اليوم يشهد انحرافا خطيرا بَدَأَ ينتشر في بعض مجتمعاته وبخاصة الغربية منها في تجاوز المفهوم المعروف للأسرة عند كل الأمم، وإعطاء مفاهيم جديدة لها للقضاء على الأسرة الطبيعية الجبيلة التي قامت عليها حياة البشرية منذ أن انطلقت من الأسرة الأولى التي سكنت الجنة ثم نزلت إلى الأرض، فلم يختلف مفهومُها من دِين إلى دِين، ولا من مجتمع إلى آخر. فظهور ظواهر شاذة في الزواج، مثل الزواج المثلي، والعلاقات غير الشرعية، والإنجاب خارج رابطة الزواج، وقيام بعض الدول الغربية في تقنينها وإصدار تشريعات تقرّها؛ هي ظواهر تتنافى والفطرة الإنسانية، ويمجّها العقل السليم. وما حل بقوم النبي لوط عليه الصلاة والسلام لقيامهم بسلوك خاطئ شاذ صار له مآل خطير في تخريب نظام الحياة بتهديد وجود النوع الإنسان، وكيان الأسرة.

وفي صدر الإسلام سارعت الشريعة إلى تحريم بعض مظاهر الزواج التي كانت منتشرة في المجتمعات الجاهلية، واعتبرتها أنكحة فاسدة لا تحقق حِكَمَ الزواج، ولا مقاصد بناء الأسرة، ما جاء في الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أنَّ النِّكَاحَ في الجَاهِلِيَّةِ كانَ علَى أرْبَعَةِ أنْحَاءٍ: فَنِكَاحٌ منها نِكَاحُ النَّاسِ اليَومَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إلى الرَّجُلِ وليَّتَهُ أوِ ابْنَتَهُ، فيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، ونِكَاحٌ آخَرُ: كانَ الرَّجُلُ يقولُ لِامْرَأَتِهِ إذَا طَهُرَتْ مِن طَمْثِهَا: أرْسِلِي إلى فُلَانٍ فَاسْتَبْضِعِي منه، ويَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا ولَا يَمَسُّهَا أبَدًا،

حتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِن ذلكَ الرَّجُلِ الذي تَسْتَبْضِعُ منه، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أصَابَهَا زَوْجُهَا إذَا أحَبَّ، وإنَّما يَفْعَلُ ذلكَ رَغْبَةً في نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكانَ هذا النِّكَاحُ نِكَاحَ الِاسْتِبْضَاعِ. ونِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ ما دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ علَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ ووَضَعَتْ، ومَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أرْسَلَتْ إلَيهِم، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ منهمْ أنْ يَمْتَنِعَ، حتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لهمْ: قدْ عَرَفْتُمُ الذي كانَ مِن أمْرِكُمْ، وقدْ ولَدْتُ، فَهو ابنُكَ يا فُلَانُ، تُسَمِّي مَن أحَبَّتْ باسْمِهِ، فَيَلْحَقُ به ولَدُهَا، لا يَسْتَطِيعُ أنْ يَمْتَنِعَ به الرَّجُلُ، ونِكَاحُ الرَّابِعِ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ علَى المَرْأَةِ، لا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ علَى أبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فمَن أرَادَهُنَّ دَخَلَ عليهنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إحْدَاهُنَّ ووَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، ودَعَوْا لهمُ القَافَةَ، ثُمَّ ألْحَقُوا ولَدَهَا بالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ به، ودُعِيَ ابْنَهُ، لا يَمْتَنِعُ مِن ذلكَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَومَ)[10].

فأكدت الشريعة الإسلامية على أن الزواج الشرعي بضوابطه وأحكامه المعروفة، هو الوسيلة الوحيدة لاجتماع الرجل مع المرأة وبناء أسرة، ولطلب النسل الطاهر، منتسب إلى أصله، يؤكد هذا قول أمنا عائشة رضي الله عنها في نهاية الحديث: **(فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَومَ)**، وهذا مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية، فوجود زواج ومن ثم وجود رابطة أسرية، فيها تبادل الحقوق والواجبات، وتحمّل المسؤوليات، ويدعو الوالدين إلى الحنو على الولد والعطف عليه ورعايته، قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: (أن حفظ النسب الراجع إلى صدق انتساب النسل إلى أصله سائق إلى البر بأصله، والأصل إلى الرأفة والحنو على نسله سوقا جبليا وليس أمرا وهميا، فحرص الشريعة على حفظ النسب وتحقيقه ورفع الشك عنه ناظرا إلى معنى عظيم نفساني من أسرار التكوين الإلهي علاوة على ما في ظاهره من إقرار نظام العائلة ودرء أسباب الخصومات الناشئة عن الغيرة

المجبولة عليها النفوس، وعن تطرق الشك من الأصول في انتساب النسل إليها والعكس)[11]. وهو ما يفسر أيضا نهي الشريعة الشديد عن التبني لافتقاده إلى مثل هذه المعاني الجبلية، وهي من جملة مقاصد تحريمه، قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۖ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝4 ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝5 ﴾ الأحزاب

ونظرا لأهمية حفظ النسل وخطورته وعظيم شأنه، فقد اعتبرته الشريعة مقصدا شرعيا عظيما وأوجبت المحافظة عليه لأنه يتوقف عليه وجود النوع الإنساني واستمراره في الأرض، فدعت إلى الاعتناء به ورعايته وصيانته منذ أن يكون جنينا في بطن أمه إلى أن يصير كبيرا[12]. وارتقى به جمهور علماء الأمة إلى مرتبة الضروري ضمن الكليات الخمس التي جاءت رعايتها في كل الملل السابقة[13]، قال ابن عاشور: (وأما حفظ الأنساب، ويعبَّر عنه بحفظ النسل، فقد أطلقه العلماء، ولم يبينوا المقصود منه، ونحن نفصل القول فيه، وذلك إن أريد به حفظ الأنساب، أي النسل من التعطيل، فظاهر عدّه من الضروري؛ لأن النسل هو خِلقة أفراد النوع، فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه، كما قال لوط لقومه: ﴿وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾ العنكبوت 29. على أحد التفسيرين، فهذا المعنى، لا شبهة في عده من الكليات؛ لأنه يعادل حفظ النفوس... أما إن أريد بحفظ النسب: حفظ انتساب النسل إلى أصله، وهو الذي لأجله شرعت قاعدة الأنكحة، وحرم الزنا، وفرض له الحد، فقد يقال: إن عدّه من الضروريات غير واضح، إذ ليس بالأمة من ضرورة إلى معرفة أن زيداً هو ابن عمرو، وإنما ضرورتها في وجود أفراد النوع وانتظام أمرهم... فيكون حفظ النسب بهذا المعنى، بالنظر إلى

مجموع جوانبه، من قبيل الحاجي، ولكنه لما كانت لفوات حفظه من مجموع هذه الجوانب، عواقب كثيرة سيئة، يضطرب لها أمر نظام الأمة، وتنخرم بها دعامة العائلة، اعتبر علماؤنا حفظ النسب في الضروري؛ لما ورد في الشريعة من التغليظ في حد الزنا، وما ورد عن بعض العلماء من التغليظ في نكاح السر، والنكاح بدون ولي وبدون إشهاد)[14].

## 3 – صلاح الفرد أساس صلاح الأسرة:

من مقاصد القرآن الكريم الكبرى عنايته بالفرد من حيث هو إنسان لهدايته وإصلاحه وتربيته، وفتح له فرص المعالجة عند الخطأ والانحراف عن طريق التوبة والاستغفار.

كثيرا ما نتحدث عن دور الأسرة في تربية الفرد وتوجيهه واستقامته ونغفل عن إعداد الفرد الصالح لأجل إنشاء أسرة صالحة، فصلاح الفرد ضمان لصلاح الأسرة، فحال الأسرة من حال وصفة كل فرد فيها، فالفرد هو منتوج اجتماعي يكون منه الزوج والزوجة، ويكون منه الأب والأم، فأثر صلاح الفرد ينتقل أثره إلى أسرته، وإذا كان غير ذلك انتقل أثر فساده إلى أسرته، وهذا المعنى أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حثه على حسن اختيار الزوجين في قوله: (فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ؛ تَرِبَتْ يَدَاكَ)[15]، أي على الرجل أن يتخيّر المرأة الصالحة لبناء الأسرة الصالحة، وعلى المرأة أيضا أن تتخيّر الرجل الصالح لبناء أسرتها الصالحة، كما جاء في السنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ عَرِيضٌ)[16]، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ)[17].

فصلاح الفرد هو أساس الصلاح العام: قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد 11. فعدم استقرار الكثير من الأسر، ووجود بعض الانحرافات في سلوك أفرادها المنتهية بالعنف، والمؤدية إلى الشقاق المستمر، وكثرة الطلاق، لَيدُل على أن الفردين المشكلين للأسرة وهما الزوجان أو

أحدهما لم يتلق تربية صالحة كافية تؤهله لبناء أسرة صالحة.

فالمحاضن المختلفة في المجتمع كالمدرسة وغيرها من المؤسسات التربوية عندما تقوم بواجب التربية، إنما تقوم بتأهيل الفرد ليكون زوجًا صالحا أو أبًا صالحا أو مواطنًا صالحاً أو معلمًا صالحاً أو حاكمًا صالحاً، لكن يبقى دور الأسرة مبدئيا وأساسيا وضروريا.

لذلك جاءت نصوص قرآنية تحث الأمة على الاهتمام بمواردها البشرية، أي العناية بتربية الفرد وإصلاحه، كما نجد نصوصا تحث الفرد نفسه على إصلاح ذاته، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝7 فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝8 قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝9 وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝10﴾ الشمس، فالفرد الصالح عامل بناء سليم للأسرة، وعامل استقرارلها وضمان استمرارها.

## ثالثا: حفظ الأسرة مقصد شرعي عظيم:

بتتبع نصوص القرآن الكريم الواردة حول الزواج والأسرة وعلاقات القرابة يُستشفُ منها مرتبة حفظ الأسرة كمقصد عظيم، أولاها القرآن الكريم عناية كبيرة، وأحاطها بجملة من الأحكام الشرعية لتنظيمها وحمايتها وتفعيل دورها الاجتماعي ورسالتها الحضارية.

ويمكن أن نستنتج من القرآن الكريم بعض مسالكه في حفظ الأسرة في الآتي:

### 1 - المسلك الأول: تنظيم علاقات أفراد الأسرة:

سعى القرآن الكريم إلى الحماية الذاتية للأسرة، من خلال تنظيمها داخليا، بتحديد المسؤوليات، وبيان حقوق أفرادها وبخاصة الزوجين تجاه بعضهما البعض، وأيضا بيان مهام كل فرد فيها وبخاصة الزوجان والوالدان، حتى لا يقع نزاع حول حق طرف تجاه طرف آخر، فبيّن أن الكل يتمتع بحقوق كاملة، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ البقرة 228، فلا ينبغي لطرف أن ينازع طرفا آخر في حقوقه ووظيفته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ

﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿32﴾﴾ النساء، كما بيّن مسؤولية رعاية الأسرة والمحافظة عليها ترجع إلى الزوج، فلا تُكلف المرأة بذلك لأن لها أعباء أسرية أخرى، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿228﴾﴾ البقرة، وقال جلّ وعلا: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ النساء 34.

وقد بيّن القرآن الكريم تنوع دور كل من الذكر والأنثى داخل الأسرة الواحدة، أي الزوجين، وهو تنوع تكاملي لا تنافري، يزيد في قوة الأسرة وتماسكها وانتظام أمري، قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿1﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿2﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿3﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿4﴾﴾ الليل، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جاءت عقب الحديث عن الذكر والأنثى، مما يدل على مهام مختلفة لكل منهما، لكنها مهام تتكامل فيما بينها، وهي عنصر ثراء وقوة وتطور للأسرة.

## 2- المسلك الثاني: تقوية علاقات أفراد الأسرة وأثرها في تماسكها واستقرارها:

حرصت الشريعة على قوة تماسك الأسرة ومتانة روابط أفرادها، من خلال حسن العلاقة بين الزوج والزوجة بالدرجة الأولى، فإذا صلحت هذه العلاقة صلحت العلاقة بين الوالدين والأولاد. وقد وضعت الشريعة وسائل وآليات ذاتية وخارجية لتجاوز الخلاف ومعالجة الشقاق وإعادة العلاقة إلى حالتها الطبيعية. فأما الآلية الذاتية في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿34﴾﴾ النساء، فإذا كان الشقاق من جانب الزوجة سعى الزوج لإصلاح ما بينه وبين زوجته بالوعظ والضرب غير المبرح والمقصود به الزجر

وإشعارها بخطأ سلوكها دون إحداث الأذى، والهجر، وإذا كان الشقاق من جانب الزوج سعت الزوجة لإصلاح ما بينها وبين زوجها، قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128)﴾ النساء، وأهمية الإصلاح الذي يبادر به كل طرف تجاه الآخر يكمن في تضييق نطاق الخلاف والحفاظ على أسرار الحياة الزوجية. فإذا عجز الزوجان عن حل مشاكلهما بأنفسهما انتقلا إلى الآلية الخارجية بالاستعانة بأطراف من عائلتهما ذوي صلاح ورأي ورجاحة عقل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)﴾ النساء.

### 3 – المسلك الثالث: وقاية الأسرة من العوامل المؤدية إلى انحلالها وهدمها وتفككها:

من ذلك التنفير من الطلاق وتجنبه، للآثار السلبية التي تترتب عنه، من تفكيكٍ للأسر، وتشريدٍ الأولاد وضياعِهم، وانقطاع الإنجاب، قال الرسول ﷺ: (أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ)[18].

وإباحة الطلاق إنما هو عند الحاجة الملحة أو الضرورة، كدفع الضرر عن أحد الزوجين، ولتعسر استمرار الحياة الزوجية، وأيضا النهي عن الزنا حفاظا على طهارة المجتمع، وطهارة الأسرة وسلامة العلاقات الزوجية، فكما أن الزنا يفسد النسل ويفقد طهارته ويقلّله أو يعطله، فإن له أثارا تنتقل إلى الأسرة، كانتشار الخيانات الزوجية المفككة للأسر، أو الاستغناء به عن تكوين أسرة. لذلك غلّظت الشريعة في تحريمه وتجنب ذرائعه ومعاقبة مرتكبه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)﴾ الإسراء، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ

جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾النور02، هذا في حالة عدم الإحصان، أما إذا كان الزاني محصنا فإنه يستحق عقوبة الرجم، لما ما ثبت في السنة عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ)[19].

كما حرمت الشريعة الإسلامية العلاقات الشاذة المخالفة للفطرة، حتى لا تكون بديلا عن العلاقة الأسرية الطبيعية، إضافة إلى أنها تضرّ بالنسل وتعطّل تكاثره، وتُشِيع الفاحشةَ في المجتمع، وقد شدّد القرآن العظيم النكير على قوم لوط لأنهم خالفوا مقتضيات الفطر السليمة، وارتكبوا فاحشة ما سبقهم بها أحدٌ من الأمم السابقة، وكرّر قصّتهم في عدة سور منه، وذلك للمبالغة في بيان قبح سلوكهم لخطورته الاجتماعية، ومساسه بأسس العمران البشري، وخروجه عن سنن الله تعالى في الخلق، فالاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات يضر بالنساء، ويجعل الناس يعزفون عن بناء الأسر، ويقطع النسل[20] ويشيع الفواحش، ويذهب الحياء، وينشر الأمراض، ويحول دون وجود روابط أسرية تحفظ للمجتمع تماسكه وقوته، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿80﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿81﴾ ﴾ الأعراف، وقال سبحانه:

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿28﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾

العنكبوت 28 - 29.

ومنه النهي عن رمي المحصنات وانتهاك أعراضهن، وأيضا النهي عن رمي الزوجات دون بينة واضحة، حفاظا على حرمة الأسرة، ووقايتها مما يدخل الفتنة والريبة بين أفرادها، في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (5) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (10) ﴾

النور.

## رابعا: المقومات المقاصدية لبناء الأسرة المنشودة:

### 1 – المقومات الفطرية

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) ﴾الروم.

فذكرت الآية الكريمة مقومين اثنين لبناء علاقة زوجية مستقرة، وبناء أسرة متماسكة، وهما: المودة والرحمة. وهما مقومان فطريان، وصفة الفطرية فيهما مستفادة من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾، فالله تعالى نسب الجعلية لنفسه، فهو سبحانه وتعالى هو الذي أودع المودة والرحمة في نفس الزوج تجاه زوجته، وفي نفس الزوجة تجاه زوجها، فوجود المودة والرحمة بينهما سلوك فطري سوي، متأصل في الذكر والأنثى من حيث أصل الخلقة في ميل كل منهما للآخر، والرغبة النفسية في الارتباط به، كيف لا وهي بضعة منه[21]؛ وفي ذلك آية من آيات الله تعالى في الخلق. ويتعمق هذا المقومان بعد نشوء الرابطة الزوجية، فيثمران حياةً زوجيةً سعيدة. وإن غياب المودة والرحمة بين الزوجين أو من أحدهما ليدل على وجود انحراف عن السلوك الفطري، يفقد الحياة الزوجية السعادة والاستقرار، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرًا موحيًا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب

وأغوار النفس... فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقًا للآخر، ملبيا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد)[22].

### المقوم الأول: المودة

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، العلاقة بين الزوجين ليست علاقة تنافس أو خصام أو تعارض أو تزاحم في الوظائف، بل هي علاقة تنطلق من المودة والمحبة بين الطرفين، قال ابن عباس: (المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء)[23].

والقرآن استعمل كلمة «مودة» بدل كلمة «محبة»، وهي أبلغ في التعبير، لأن المودة فيها تودد المعبر عن التقرب، فكل طرف يتقرب ويتودد إلى الآخر، فليس حب من جانب واحد، بل هو من طرفين يحصل به التفاعل، كما قال تعالى في شأن المؤمنين[24]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿96﴾﴾ مريم.

فالمودة أبلغ وأشمل في العلاقة الحميمية العاطفية العميقة بين الزوجين من لفظة «المحبة»، فالحب ليس دائما يكون متبادلا، فالمرأة قد يحبها زوجها وهي لا تحبه لسوء خلقه أو إهماله، لكنها تصبر وتعيش معه لأجل رعاية أولادها، وكذلك الحال بالنسبة للزوج.

### المقوم الثاني: الرحمة

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، فالعلاقة بين الزوجين علاقة رحمة، فكل طرف ينظر إلى الآخر نظرة عطف وحنان، ويتعامل معه باللين، والرحمة فيها معنى الشفقة والرأفة[25]، فالزوج يعطف على زوجته، ويقدر تعبها، ويشفق عليها، وكذلك الزوجة تعطف على زوجها وتقدّر سعيَه وكدَّه من أجل كسب لقمة العيش. فالرحمة تكون في

الشعور النفسي وفي التعامل المادي، وهي كفيلة بتقوية العلاقات، وإدامة الروابط، وتعميق المحبة بينهما، فلا يكون مجال لوساوس الشيطان ولا لنزغاته، ولا لسوء الظن بين الزوجين. وإن بَيْتاً تسود فيه الرحمة يكون بعيدا عما يسمى بالعنف الأسري أو الإهمال العائلي.

والرحمة ترجمها النبي ﷺ في حياته الأسرية في أسمى معانيها، وهو القائل عن نفسه: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)[26]؛ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ»[27]. فهو كزوج كان في خدمة أهله، يساعد زوجاته في أعمال البيت، دون أن ينقص ذلك من قدره ولا بمكانته كنبي مرسل، فقد ورد في الصحيح عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ»[28]، بل كان النبي ﷺ يتكفل بشؤونه الخاصة ويقوم بها بنفسه من باب الشفقة عليهن، وحتى يخفف الأعباء عن زوجاته، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ)[29]، وعَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: (مَا كَانَ إِلَّا بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، كَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ)[30].

## 2 - المقومات المكملة:

### المقوم الأول: المعاشرة بالمعروف

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ النساء. فقوله: (عاشروهن) من المُعاشَرَةُ وهي مُفاعَلَةٌ مِنَ العِشْرَةِ وهي المُخالَطَةُ[31]، وغالبا أن دوام المخالطة بين الزوجين قد تؤدي إلى سوء المعاملة، ووقوع شيء بين الطرفين، فأوصى الله تعالى بحسن معاشرة النساء، وعدم الإضرار بهنّ، والصبر عليهنّ، والإحسان إليهنّ، وهي معاشرة تكون بالمعروف والمعاملة الحسنة والكلمة الطيبة، فإن ذلك كفيل بدوام العلاقة الطيبة بين الزوجين، ومن

ثم تماسك الأسرة واستقرارها، وسيادة الهدوء والطمأنينة فيها.

والزوج قد يرى من زوجته ما يكره، وهي ترى منه ما تكره، ولكن على كل طرف أن ينظر إلى الجوانب الإيجابية في الآخر، إذ لا يخلو إنسان من عيب أو نقص، قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿19﴾﴾، فقد يكون في زوجتِه التي كَرِه منها شيئًا في خِلقتها أو خُلقها، الخير والبركة والعفة وصلاح الدين وحسن تدبير البيت، فيرعى ذلك منها ويتغاضى عمّا كرهه منها، فعن أبي هريرة رضي الله عته قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها آخَرَ، أَوْ قالَ: غَيْرَهُ)[32]، والفَرْكُ: البغض والكره، والنهي عنه لأنه غالبا ما يؤدي إلى إيذاء الزوجة وظلمها وحرمانها من حقوقها. وانظر إلى ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجته عائشة رضي الله عنها في الحديث والمحافظة على وُدّها، فعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ:» لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ نَفْسٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ مَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ، فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ. قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟ فَقَالَتْ: وَمَا لِي لَا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ فَقَالَ ﷺ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كل صلاة[33].

## المقوم الثاني: الاحترام المتبادل

العلاقة الزوجية قائمة على الاحترام المتبادل بين الطرفين، فالزوج يحترم زوجته ويقدّرها، والزوجة تحترم زوجها وتقدّره. فقد يسود اعتقادٌ فاسدٌ عند الزوجة أن بخصامها المستمر وعنادها ومشاكستها صارت قوية متحكمة في زوجها ومسيطرة على بيتها، وكذا الزوج قد يعتقد أن بقسوته وشدته صار قويا متحكما في زمام أسرته، فالاحترام ليس ضعفا بقدر ما هو خلق حسن يعبر عن تقديرهما لبعضها البعض، ويقوي الثقة بينهما.

فالقوامة الممنوحة للزوج بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ النساء 34، تعني الإشراف والحماية والدفاع والإنفاق وتحمّل المسؤولية، وذلك للمؤهلات التي خلقَ اللهُ تعالى عليها الرجالَ دون النساء، وهو أمر معلوم عند الناس. والقوام هو الذي يقوم على شأن شيء فيهتم به ويليه ويصلحه ويعتني به ويقف على إدارة أمره[34]. وعليه فإن القوامة لا تعني التسلط والاستبداد، فهذا خطأ في الفهم وسوء تنزيل يأباه مقصد بناء الأسرة. فلا يجوز للزوج أن يهين زوجته، أو يتسلط عليها، أو يحرمها من حقها في إبداء رأيها أو التحاور معها في أمور البيت، فالمرأة لها عقل، ولها رأي، وعقلها مع عقله ورأيها مع رأيه أفضل وأتم وأكمل، فقد يخفى عليه ما تتفطن له هي. وسيرة النبي ﷺ التي تمثّل التطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم، لتدلّ على ما كان عليه ﷺ من خلق عظيم في تقدير واحترام زوجاته، فكان يرجع إليهنّ، وهنّ يراجعنه، ويستشيرهنّ، ويأخذ برأيهنّ، ويتحدث إليهنّ، ويتحاورنّ معه ويسألنّه فيجيب؛ وكان يقع شيء من أمهات المؤمنين رضي الله عليهنّ تجاه زوجهنّ النبي ﷺ دون أن يتجاوزنّ حدود الأدب معه، فلا يكون منه ﷺ إلا الكلمة الطيبة وحسن المعالجة للموقف والتودد لهنّ، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنِّي لَأَعْرِفُ غَضَبَكِ وَرِضَاكِ) قَالَتْ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِنَّكِ إِذَا كُنْتِ رَاضِيَةً قُلْتِ: بَلَى وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ سَاخِطَةً قُلْتِ: لاَ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ » قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ، لَسْتُ أُهَاجِرُ إِلَّا اسْمَكَ)[35]، وجاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الأَنْصَارِ إِذَا قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِن أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ، فَصَخِبْتُ عَلَى امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، قَالَتْ: وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليومَ حَتَّى اللَّيْلِ، فَأَفْزَعَنِي ذلكَ وقُلتُ لَهَا: قدْ خَابَ مَن فَعَلَ ذَلِكِ منهنَّ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، فَنَزَلْتُ فَدَخَلْتُ على حَفْصَةَ فَقُلتُ لَهَا: أيْ حَفْصَةُ، أتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ

النبيَّ ﷺ اليومَ حتَّى اللَّيْلِ؟ قالَتْ: نَعَمْ، فَقُلتُ: قدْ خِبْتِ وخَسِرْتِ، أفَتَأْمَنِينَ أنْ يَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِ رَسولِهِ ﷺ فَتَهْلِكِي؟ لا تَسْتَكْثِرِي النبيَّ ﷺ ولَا تُرَاجِعِيهِ في شيءٍ ولَا تَهْجُرِيهِ، وسَلِينِي ما بَدَا لَكِ، ولَا يَغُرَّنَّكِ أنْ كَانَتْ جَارَتُكِ أوْضَأَ مِنْكِ وأَحَبَّ إلى النبيِّ ﷺ، يُرِيدُ عَائِشَةَ)[36].

## المقوم الثالث: الإنفاق الحسن

إن الزواج تترتب عنه حقوق معنوية ومادية كثيرة، ومن جملة الحقوق المادية النفقة، وهو أعظم حق يجب على الزوج تجاه زوجته وأولاده. فعلى الزوج أن يوفّر مسكنًا لأسرته، وينفق بالمعروف على كل من هم تحت رعايته، وبخاصة زوجته بحسب وسعه وقدرته، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ﴾ البقرة 233، وقال أيضا: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ التغابن.

فالقرآن أوصى بإكرام الزوجة، وإعزازها، وعدم حرمانها مما تحتاجه من متطلباتها المادية والمعنوية. والإنفاق عليها لا يكون بالمنّ والأذى، فهو حق لها يجب لها بمقتضى عقد الزواج الشرعي الصحيح، فيطعمها زوجُها مما يطعم نفسه، ويكسوها كما يكسو نفسه، ويكفل لها الرعاية الصحية عند المرض، فتشعر الزوجة في كنف زوجها بالأمان، وأن زوجها قد حلّ محل والديها في رعايتها وتلبية احتياجاتها من الطعام والشراب واللباس والعلاج وما تحتاج إليه من أدوات وأثاث في بيتها، وفي ذلك دوامٌ للعشرة بينهما، واستمرار للحياة الزوجية. وقد أكدت السنة ذلك فعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: (أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا

طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ)، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكِ اللَّهُ"[37]. أما إذا قصّر الزوج، وبخل بماله، وضيع من يعول، فقد أعطت الشريعة للزوجة حق رفع شكايتها للقضاء عند إعسار الزوج أو إهماله لأسرته، فعن خَيْثَمَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، إِذْ جَاءَهُ قَهْرَمَانٌ[38] لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: أَعْطَيْتَ الرَّقِيقَ قُوتَهُمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَأَعْطِهِمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ»[39]، فلا يجوز للمسلم أن يمنع ماله عمن تلزمه نفقته من أهله وأولاده، وحتى حيواناته وبهائمه، فلا يبذل ماله هنا وهناك ولو بالتصدق على الفقراء حتى يكفي أهله. وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ما ينفقه الرجل على أهله صدقة، وما أنفقه على زوجته وأولاده أعظم ثوابًا، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي دِينَارٌ، فَقَالَ: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ» ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ» ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ» - أَوْ قَالَ: «زَوْجِكَ» -، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ» ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: «أَنْتَ أَبْصَرُ»[40]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»[41].

## خامسا: ثمار بناء الأسرة الصالحة:

لا شك أن بناء الأسرة تترتب عنه عدة ثمرات وفوائد تعود بالدرجة الأولى على أفرادها، منها:

### 1 – التمتع بالطيبات:

الله تعالى يمتن على عباده بنعمة خلق الأنثى للذكر، وجعل ذلك من آياته الدالة على عظمته وحكمته وعلمه سبحانه وتعالى، وقال عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿72﴾ ﴾ النحل.

والزواج من جملة الطيبات، فهو رزق، وهو سبيل التمتع بنعمة الزوجية، وهو الوسيلة الشرعية الوحيدة لتلبية الحاجات الفطرية، والتمتع بما أودع الله تعالى في النساء من محاسن وعاطفة، قال جلّ وعلا:

﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ النساء 03 فلفظة (مَا طَابَ) دلالة صريحة على وجه النعمة في الزواج، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ۚ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿24﴾ ﴾ النساء، وقال الشاطبي: (لأن الشارع قصد بالنكاح التناسل ثم أتبعه آثارا حسنة من التمتع باللذات والانغمار في نعم يتنعم بها المكلف كاملة فالتمتع بالحلال من جملة ما قصده الشارع)[42].

## 2 – تلبية الحاجة النفسية إلى مشاعر الأبوة والبنوة:

حلم كل زوج أن يصير أبا تكون منه الذرية، وحلم كل زوجة أن تكون أما تمارس حقها الطبيعي في الانجاب والإرضاع والعطف والحنو على الصغير، وهي نعمة عظيمة، ولذة نفسية كبيرة لا تقدر بثمن.

وقد حكى لنا القرآن الكريم حرص الأنبياء على الزواج وإنجاب الأولاد للتمتع بنعمة الأبوة والبنوة، فكانوا يتضرعون إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء وأنواع القربات ليهب لهم من الولد الصالح ما تقر به أعينُهم، كما قص لنا القرآنُ ذلك عن بعض الأنبياء، منهم إبراهيم عليه السلام الذي كبر في السن ولم يرزق الولد، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿99﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿100﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿101﴾ ﴾ الصافات، فرزقه الله تعالى إسماعيل عليه السلام، كما بشره بولده إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿69﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿70﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿71﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿72﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿73﴾ هود، وقال تعالى أيضا: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿24﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿25﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿26﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿27﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿28﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿29﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿30﴾ ﴾ الذاريات، ثم مقابلة ذلك بالشكر لله تعالى على ما رُزِق من نعمة الولد، والدعاء لذريته بالصلاح، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿39﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿40﴾ ﴾ إبراهيم. والله تعالى في القرآن الكريم يمتن على عبده إبراهيم عليه السلام مواساته بما وهبه من نعمة الولد، فقال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿49﴾ ﴾ مريم، وقال أيضا: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ ۖ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿72﴾ ﴾ الأنبياء.

ومنهم زكرياء عليه السلام، قال تعالى فيه: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿38﴾ ﴾ آل عمران، وقال أيضا عنه: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿5﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿6﴾ ﴾ مريم. ورأينا عاطفة نبي الله تعالى يعقوب

وشدة حزنه عند فقد ابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿84﴾ ﴾ يوسف، وعاطفة نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام تجاه ابنه الذي أبى طاعته فكان من المغرقين، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿42﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿43﴾ ﴾ هود، ثم تضرعه لله تعالى ليغفر لابنه، قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿46﴾ ﴾ هود.

### 3 – السكن:

قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ الروم21، وقال أيضا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾ الأعراف 189، والسكن يعبر عن الراحة النفسية والطمأنينة، وفيه أيضا معنى الأنس وزوال الاضطراب والوحشة والكمد[43]، فالزوج يجد راحته عندما يأوي إلى زوجته في بيته، فيرتاح من عناء الحياة ومشاكلها وتعبها، فهي سكن له، ودعم وقوة له في مواجهة مشاق الحياة، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلّما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنًا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارًا للحياة والمعاش، وأنسًا للأرواح والضمائر،

واطمئنانًا للرجل والمرأة على السواء)[44].

وقد ذكرت لنا كتب السيرة النبوية كيف كان يجد النبي ﷺ السكن والدعم المعنوي عند زوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فعندما نزل عليه الوحي لأول مرة وانتابه الخوف، رجع إلى بيته وقال لزوجه خديجة رضي الله عنها: (قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي)[45]، فطمأنته وهدأت من روعه، وقالت له تلك الكلمات العظيمة القوية: (كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا؛ إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ)[46].

### 4 - الأمن:

شبّه القرآن الكريم العلاقة الزوجية باللباس، فكل من الزوجين يمثل للآخر لباسًا، وشأن اللباس الستر والحماية والوقاية، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ البقرة 187. فاللباس يعبر عن معنى الأمان وبخاصة في جوانبه المعنوية والنفسية. فمظاهر العنف اللفظي والبدني والخشونة في المعاملة كلها التي تنتشر في كثير من الأسر هي سلوكات منافية للسكن والمودة والرحمة.

فالزوج لباس لزوجته يوفر لها الحماية والمنعة، فتشعر هي معه بالأمن وعدم الخوف، وهي أيضا تشعره بالأمن فلا يتطرق إلى نفسه ريبة، لأنها تحفظه أولا في نفسها، ثم تحفظه في ماله وأولاده وبيته.

فالأسرة عبارة عن مجتمع صغير، وشأن المجتمع أن يكون كل فرد فيه آمنا على نفسه، يمارس حقوقه بكل حرية دون ضغط أو تقييد، وقد امتن الله تعالى على قريش بنعمة الأمن مما يدل على أنه مقصد عظيم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿4﴾﴾ قريش. وكذلك الأسرة، فكل فرد فيها ينبغي أن يشعر بالأمان وممارسة حقوقه كاملة. فالزوجة إذا شعرت بالأمان والاحترام، نالت حقوقها دون ضغط أو إكراه أو عنف، وقامت بواجباتها المنزلية وأعبائها العائلية عن رضا وحب، وشعرت بكرامتها واستقلال

شخصيتها. وكذا الأبناء إذا شعروا بالأمان والمعاملة الحسنة من الوالدين وبخاصة الأب نشأوا نشأة سوية دون عُقَد أو حرمان وإهمال.

## سادسا: مقاصد بناء الأسرة في المحيط العائلي والقرابة

### 1 – مقصد التربية والرعاية:

لا يمكن لأي مؤسسة أن تحل محل الوالدين أي الأسرة في تربية الأولاد، ويبقى عملها قاصرا لفقدانها عاطفة الأبوة وحنان الأم. فالوالدان لهما مسؤولية كبيرة في إعطاء أساسيات التربية السليمة للأولاد، وغرس أصول الخصال الحميدة والآداب الحسنة وأركان الدّين فيهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ التحريم.

وتظهر أهمية الأسرة بالنسبة للطفل اليتيم أو الطفل المسعف الذي فقد أسرته، وأثر غيابها على تربيته والقيام بشؤونه، لذلك أوصى القرآن الكريم برعاية اليتيم لتعويضه عن فقد والديه أو أحدهما، وتوفير أسرة بديلة له تقوم برعايته والقيام بشؤونه، والتقليل قدر الإمكان من آثار الحرمان حتى ينشأ نشأة سوية. وشرائع الله تعالى السابقة أوصت باليتامى، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ البقرة 83، وجعل القرآن الكريم الإحسان إليهم وبذل المال لهم من وجوه البر والأعمال الصالحة بعد عبادة الله تعالى وتوحيده، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ النساء، وقال: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ

الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ البقرة 177.

وأمر تعالى بحسن معاملة اليتيم، فقال: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ البقرة 220، ونهى عن كل مظاهر الإساءة إليه قال جلّ شأنه: ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) ﴾ الفجر، وقال أيضا: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) ﴾ الضحى، وقال: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) ﴾ الماعون؛ وأوصى الأسر وما يقوم مقامها التي تقوم برعاية اليتامى بالمحافظة على مال اليتيم حتى يبلغ ويكبر ويستقل بنفسه، قال تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (2) ﴾ النساء، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ الأنعام 152، ومثلها في سورة الإسراء 34، وشدّد القرآن في ذلك فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10) ﴾ النساء.

### 2 – مقصد تحمّل المسؤولية:

المسؤولية مشتركة بين أفراد الأسرة الواحدة وبخاصة الزوجان، فلا يتحمّلها طرف دون طرف، ولا ينفرد بها طرف دون آخر، وكثيرا ما يتحدث القرآن الكريم عن وجوب تحمل الإنسان للمسؤولية تجاه نفسه، وتجاه غيره، وأنه سيحاسب على ذلك يوم القيامة. فرابطة الأسرة تُرتّب مسؤوليات لأفرادها تجاه بعضهم البعض. وقد وضّحت السنة النبوية هذا المقصد القرآني، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ

الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[47].

فالحديث يشير إلى أن كل فرد في المجتمع عليه أن يتحمّل مسؤولياته، وكل فرد في الأسرة عليه أن يقوم بواجبه. والراعي يعني الحافظ المؤتمن الذي يقع على عاتقه واجبُ رعايةِ وإصلاحِ من هم تحت رعايته، وتفقد أحوالهم، والقيام بمصالحهم وشؤونهم، فالزوج والزوجة كلاهما راعٍ أي مسؤول وكذا الولد، فمسؤولية الزوج حفظ أسرته، والقيام بشؤونها، والإنفاق على أفرادها، والزوجة أيضا مسؤولة على بيت زوجها، فكون الرجل قواما على المرأة، فلا يعفِها من التزاماتها الأسرية، فلها واجبات متعددة، بحسن تدبير شؤون بيتها، والاقتصاد في الإنفاق والمعيشة، والمحافظة على مال زوجها، والعناية بأولاده والحنو عليهم، وإصلاح أحوالهم وشؤونهم من نظافة وإطعام وتعليم وتمريض وغيرها.

### 3 - مقصد التعاون:

وقد جعل القرآن الكريم التعاون خلقا إسلاميا، وقاعدة عامة يجب أن تسود حياة الناس، وتُبنى عليها الحياة الاجتماعية للمسلمين، ومنها الحياة الأسرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿2﴾﴾ المائدة، قال الإمام القرطبي: (وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى؛ أي: ليعن بعضكم بعضا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه)[48]. والأسرة تدخل في هذا المعنى العام، فلا يمكن للأسرة أن تستمر، وتنتظم أمورُها، وتحقق رسالتَها، دون أن يكون تعاون مستمر بين الزوجين أو الوالدين. فالتعاون وتقاسم المسؤولية وتبادل الأدوار هو الذي يمنع الشقاق ويقلّل النّزاع.

فسنة التعاون بين الزوجين ضرورية للقيام بشؤون الأسرة، كل بحسب ما يحسنه بمقتضى أصل الخلقة، ومهام كل منهما بحسب طبيعة الذكورة والأنوثة، والأبوة والأمومة، دون منازعة كل منهما للآخر في مهامه. فالقوامة التي هي حق للزوج بنص الشرع، لا تعني الانفراد

بالأعباء، وإقصاء الطرف الثاني، بقدر ما تعني الإشراف والحماية والعناية، مع ترك الزوجة تمارس وظيفتها كاملة في محيطها العائلي؛ فانتظام أمر الأسرة داخليا هو من حسن تدبير الزوجة وحرصها واهتمامها، فإذا كان الزوج يسعى ويكد خارج البيت من أجل كسب قوت عياله، فالزوجة تمكث في بيت زوجها تقوم بشؤونه، وتدبر أموره، وتُصلح أحوالَه، وهو عمل مضني ومرهق تُؤجر عليه، وقد قيل قديما:

إذا لم يكن في منزل المرء حرة
تدبره ضاعت مصالح داره

## سابعا: مقاصد بناء الأسرة في المحيط الاجتماعي:

### 1 – تأهيل وإعداد الفرد الصالح:

كل فرد في المجتمع هو نتاج أسرة، وهو امتداد لها، ويعكس صورتها. فالأسرة هي المحضن الأول لصناعة الفرد الصالح، وتشكيل شخصيته المتوازنة، وتفجير طاقاته الكامنة، وتوجيه مواهبه المتعددة وتوظيفها في خير المجتمع ورقيّه.

فالأولاد يترعرعون في الأسرة، فتغرس فيهم المعاني النبيلة، وتربيهم على الهمم العالية، والشخصية السوية؛ فهؤلاء الأبناء من كل أسرة هم مستقبل المجتمع، وهم إطاراته المستقبلية، وهم من يتحمّل مسؤولية النهوض به، فصلاحهم وفعاليتهم بحسب مستوى التأهيل والتربية التي تلقوها على مستوى الأسرة.

والأسرة إما أن تبلّد الفرد وتطمس فيه مواهبَه واستعداداتِه، وتعطّل فيه قدراتِه وطاقاتِه؛ أو أن تميّعه وتقذف به نحو الرعونة والطيش؛ وتجعل منه فردا سلبيا، ليس له طموح ولا هدف في الحياة. وإما أن تجعل من الفرد إنسانا إيجابيا رساليا، يطمح نحو المعالي ويسعى لخدمة أمته، وقد مرّ أحدهم على معاوية بن أبي سفيان وهو صغير يلعب مع الصبيان، فلاحظ فيه صفات النبوغ والقيادة، فقال: (إني لأظن هذا الغلام سيسود قَوْمَه)، فسمعته أمه هِنْد بِنْت عُتبةَ فقالت: (ثكِلتُهُ إنْ كان لا يَسُود إلا قَومَه)[49]. فانظر إلى دور الأم داخل الأسرة

في إعداد الأبناء ليكونوا صالحين عظماء وقادة نافعين لمجتمعهم.

**2 – غرس قيم الدّين وآدابه الحسنة:**

صلاح الوالدين هو صلاح كل أفراد الأسرة، فصلاحهما ينتقل إلى الأبناء والبنات، فالوالدان هما المعلم الأول للأولاد، يأخذون منهما الدّين والأخلاق الحسنة والآداب الفاضلة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿189﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿190﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿191﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿192﴾ ﴾ الأعراف.

وعموم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ التحريم 06، يفيد أن دور الوالدين يكمن أيضا في تنشئة الأولاد على تعاليم الدّين الصحيح، على حب الله تعالى وتعلم كتابه العزيز وحب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتباع سنته، والتحلي بالآداب الفاضلة والأخلاق الحسنة. ويتأكد هذا الدور بالنسبة للوالد على وجه الخصوص في حرصه على وقاية أهله وأولاده من عذاب الله تعالى، ويكون ذلك بترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوسهم، ووقايتهم من الشرك والكفر والعصيان. والقرآن الكريم قَصَّ لنا سلوك الأنبياء مع أهلهم وحرصهم على استقامتهم على الدّين وإقامة فرائضه، قال تعالى في شأن إسماعيل عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿54﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿55﴾ ﴾ مريم، وإبراهيم يعقوب عليهما السلام يوصيان أبناءهم بالمحافظة على إقامة الدّين الخالص لله تعالى وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿131﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿132﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿133﴾ ﴾ البقرة، وقال تعالى في شأن نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿132﴾ ﴾ طه. وهو ما أكدته السنة النبوية فيما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يَقُولُ: أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ الروم 30[50]، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ)[51]، وفي رواية عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[52].

### 3 - المحافظة على ثقافة المجتمع وهويته:

لكل مجتمع شخصيته وثقافته التي تحفظ له هويته وخصوصيته وتميّزه، وثقافات الشعوب تختلف وتتنوع، وقد تتأثر ببعضها البعض، والأصل أن تتعايش ولا تصطدم[53].

وثقافة مجتمعٍ ما تتجلّى في كل مظاهر الحياة الاجتماعية، في السلوك والعادات واللباس، والمناسبات الوطنية، والفنون ونمط المعيشة. ويمكن أن يقال هي كتلة من العادات المتجانسة، والتقاليد المتكاملة، والأذواق المتناسبة، والعواطف المتشابهة، التي تطبع المجتمع بسمات خاصة متميزة عن بقية المجتمعات الأخرى[54].

فالمحافظة عل ذلك مهم جدا في الحفاظ على المجتمع من المسخ والذوبان،

ووقاية أفراده من الثقافات الوافدة خاصة في ظل العولمة، ومخاطر الغزو الثقافي وشبكات التواصل الاجتماعي. حيث صار من السهل الوصول إلى المعلومة والاطلاع على ما عند المجتمعات الأخرى وبخاصة الغربية منها المهيمنة على شبكات الانترنيت، وما تَبُث فيها من برامج ومحتوى مناف للأخلاق والقيم والآداب. فلم يَعُد أي فرد صغير أو كبير أو بيت بمنأى عن مخاطر شبكات التواصل الاجتماعي. فالفرد الذي يفقد صلته بثقافة مجتمعه فإنه يموت موتا ثقافيا على حد تعبير مالك بن نبي رحمه الله تعالى[55]، أي يفقد شخصيته وهويته. ذلك أن الثقافة ليست فقط غناء وفنون، فهي أوسع من ذلك، فهي مجموعة من القيم والصفات المتعددة التي تطبع مجتمعًا من المجتمعات، فهي: «مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريًا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[56]، أي فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[57].

إن المحافظة على الميراث الثقافي ونقله للأجيال المتعاقبة ليس عامل تخلف، ولا يتنافى مع رقيّ المجتمع ونهضته، ولن يشكّل ذلك عقبة أمام تطوره ومواكبة ما انتجته التكنولوجيا المعاصرة في كل الأصعدة، بقدر ما يشكّل ذلك مناعة له من المسخ والذوبان وفقدان هويته. وقد كان محمد بن أبي شنب المفكر والمثقف الجزائري الذي ولد في 26 أكتوبر 1869م بمدينة المدية وتوفي في 5 فيفري 1929م، والذي ترك بصمته بقوة في الأدب والفكر والقيم الإنسانية والثقافية والحضارية، ويجيد عدة لغات، وهو أول دكتور جزائري في الوطن العربي وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق؛ ومن شدة محافظته على تقاليده الجزائرية، واعتزازه بقيم وطنه، ويفتخر بذلك، كان يلبس اللباس التقليدي الوطني الجزائري أينما حلّ. وكان يرتدي هذا الزي فكان البعض من الغربيين يسخرون عندما يرونه في ذلك اللباس الجزائري، لكن سرعان ما يقدّرونه ويحترمونه لعلمه وثقافته الموسوعية. وكان يتجول في العواصم العالمية بزيه العربي الإسلامي،

وفي الجامعات التي كان يحاضر فيها كالسربون وغيرها، ويناظر الأدباء والمؤرخين والمستشرقين في المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية [58]، دون أن يحقر ذاته، أو يشعر بعقد نقص أمامهم.

فدور الأسرة مهم جدا في تحصين الفرد، وفي زرع ثقافة المجتمع وخصوصيته وقيّمه فيه، فيكون له قوة الشخصية ومتانة الانتماء، كما لها دور في انتقال الأعراف الحسنة والعادات الاجتماعية الصالحة من جيل إلى جيل، فيحدث التواصل بينهم، والتقدير لميراث السلف، والشعور بالعزة والكرامة، فذلك يمثّل حصنًا للمجتمع من حملات التشويه التي تحاول تغييره وإفساده.

وقد مثّلت الأسرة زمن الاحتلال الفرنسي الظالم سدًا منيعًا وحصنًا ثقافيًا قويًا ضد محاولات المحتل الصليبي في القضاء على دين المجتمع وثقافته العربية الإسلامية، وانتمائه الحضاري، بمخططاته التغريبية وتشويه تاريخه العريق، حتى يشعر بالدونية، ومن ثم فصل المجتمع عن تاريخه وهويته، حتى يسهل القضاء عليه.

### 4 - توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية وتقويتها:

أخبر القرآن الكريم أن الحياة البشرية بدأت بإنسان واحد، ومنه خُلق زوجه، ومنهما كان نسلهما في الأرض، وانتشارهم فيها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء.

إن عمارة الأرض، ووجود روابط واسعة بين الناس مقصد قرآني، إذا كانت قائمة على التعايش والتعاون وتبادل المنافع، والقرآن أشار إلى معنى تكثير الروابط الإنسانية من خلال سنة الخلق، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ ﴾ الفرقان. لذلك سعت الشريعة الإسلامية لتحقيق هذا المقصد القرآني من خلال الحث على النكاح وتشجيع بناء الأسر، التي تُسهم في توسيع العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة داخل الأمة الواحدة، عن طريق

رابطة النسب ورابطة المصاهرة ورابطة الرضاع الناشئة عن الزواج.

فالزواج ليس فقط رابطة بين رجل وامرأة، فهو أيضا رابطة بين العائلات، وقد يكون سببا في الصلح والتقارب وإزالة العدوات بين العشائر والقبائل، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات.

## الخاتمة:

مما سبق بيانه يتبين لنا اهتمام القرآن الكريم بالأسرة من حيث بناؤها وأهميتها ووظيفتها. وقد حاولنا قدر المستطاع الانطلاق من القرآن الكريم لاستخلاص المعاني المقاصدية المرتبطة بتكوين الأسرة ودورها ورسالتها، بحيث وجدنا نصوصا مهمة تتحدث عن الأسرة بأشكال مختلفة وفي أغراض عديدة. ويمكن أن يكون تفسير موضوعي للأسرة من خلال القرآن الكريم، أو دراسة متكاملة تكون أوسع وأشمل.

والقرآن الكريم يجعل من الأسرة أمرًا مركزيًا في المجتمع تنطلق منه كل المشاريع الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية. فالأسرة لها دور كبير في تحقيق ذلك، وإنجاز الكثير من برامج التغيير والإصلاح.

إن القرآن الكريم المصدر الأساس في استخلاص المعاني المقاصدية والحكم السامية، المتعلقة ببناء الأسرة، والتي أشرنا إلى بعضٍ منها، فقد اعتنى بشأن الأسرة، وعلاقات أفرادها، وحقوقهم ووجباتهم، ومقومات تماسكها واستقرارها، ووقايتها من عوامل التفكك والانحلال.

والأسرة تنطلق من سنة الزوجية وعلاقة الذكر بالأنثى، وهي علاقة تكامل وتعاون. فالأسرة أساس بناء المجتمع، وقوة الأمة، وأن لها آثارا أخروية. ثم أشار القرآن الكريم إلى ما يحقّقه بناء الأسرة من مقاصد على مستوى المحيط العائلي كالتربية والرعاية وتحمّل المسؤولية والتعاون؛ أو على مستوى المحيط الاجتماعي، كتأهيل وإعداد الفرد الصالح والمحافظة على الدّين والأخلاق

وثقافة المجتمع وهويته، وتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية وتقويتها.

فالأسرة في نظر القرآن الكريم تنشأ على أساس زواج شرعي لا غير، ومقصده الأول هو الحصول على النسل وتكثيره والحنو عليه ورعايته، وهذا المعنى يبطل ويدحض كل التوجهات الخاطئة التي تحاول إعطاء مفاهيم جديدة للزواج والأسرة بدعوى التطور والتحرر والحرية.

ومهما تنوعت وظائف الأسرة، فيبقى دورها في إعداد الفرد وتأهيله، وتكوين المواطن الصالح، وصياغة الشخصية الرسالة التي تحقق مقصد العبودية لله تعالى ومهمة الاستخلاف في الأرض، هو الأسمى والأعلى.

## قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم

- كتب السنة

- ابن باديس: عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، سنة1402هـ/1982م.

- جميلة تلوت، مقاصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، 2017، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

- ابن زغيبة: عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور أبو الأجفان، قسم أصول الفقه، المعهد الأعلى للشريعة، جامعة الزيتونة، السنة الجامعية:1412هـ/1992م.

- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 12، سنة: 1406هـ/ 1986م.

- الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي(ت790هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دارالمعرفة، بيروت، لبنان.

- ابن عاشور: محمد الطاهر(ت1973م)، مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط سنة 1985م.

- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدارالتونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط سنة1984م.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، سنة 2009م.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط6، سنة 2009م..

- ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط7، سنة1405هـ/1985م.

- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط سنة 1413هـ/ 1992م.

- أبو هشام الدّين محمد حسين، التوضيحات الأولية لعلم مقاصد الشريعة الإسلامية، المطبعة الصحراوية، ورقلة، الجزائر، ط1، سنة 1414هـ/1994م.

## الهوامش:

1 - ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل، تفسيرالقرآن العظيم، دارالأندلس، بيروت، لبنان، ط7، سنة1405هـ/1985م، ج:2، ص:196.

2- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الغد الجديد، القاهرة، مصر، ط1، سنة 2009م، المجلد 7، ج:14، ص:15.

3- أخرجه البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ، رقم:5185 – ومسلم، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ، رقم:1468

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:5، ص:354.

5- أي ليس الزواج عبادة مخصوصة كما في الصلاة والصيام، بحيث لا يجوز إسقاطها أو تركها، بل هو من التعبد العام الذي يدخل في عموم قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ الحج.

6- ابن زغيبة: عز الدين، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور أبو الأجفان، قسم أصول الفقه، المعهد الأعلى للشريعة، جامعة الزيتونة، السنة الجامعية:1412هـ/1992م، ص:167 - أبو هشام الدين محمد حسين، التوضيحات الأولية لعلم مقاصد الشريعة الإسلامية،

المطبعة الصحراوية، ورقلة، الجزائر، ط1، سنة 1414هـ/1994م، ص:44.

7- الشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي(ت790هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج:2، ص:396.

8- الشاطبي، الموافقات، ج:1، ص:133

9- أخرجه النسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، رقم:3175 – ورواه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، رقم:1754.

10- البخاري، كتاب النكاح، بَابُ مَنْ قَالَ: لاَ نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، رقم:5127

11- ابن عاشور: محمد الطاهر(ت1973م)، مقاصد الشريعة الإسلامية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط سنة 1985م، ص:162

12- حسين، التوضيحات الأولية، ص:44.

13- قال الشاطبي حيث قال: (فقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدّين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري) الشاطبي، الموافقات، ج:1، ص:38

14- ابن عاشور، مقاصد الشريعة، ص:81

15- وتمام الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ) رواه البخاري، كتاب النكاح، بَابُ الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ، رقم:5090 – مسلم، كتاب النكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ، رقم:1466

16- الترمذي، كتاب النكاح، بَابُ مَا جَاءَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، رقم:1084 – ابن ماجه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الْأَكْفَاءِ، رقم:1967، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي»

17- ابن ماجه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الْأَكْفَاءِ، رقم:1968، وحسنه الألباني.

18- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، رقم:2018 – ورواه أبو داود في سننه، كتاب الطلاق، باب كراهية الطلاق، رقم:1863. وضعفه الألباني.

19- رواه مسلم في كتاب الحدود، باب حد الزنى، رقم:3199.

20- جميلة تلوت، مقاصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران، 2017، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ص 68-37

21- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ النساء 01، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ الزمر6.

22- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط 12، سنة: 1406هـ/ 1986م، ج:5، ص:2763

23- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج: 7، ج:14، ص:15.

24- انظر تفسير الآية عند ابن باديس: عبد الحميد، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ط1، سنة1402هـ/1982م، ص:199 وما بعدها.

25- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 7، ج:14، ص:15 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج:5، ص:354.

26- ابن ماجه عن ابن عباس، بَابُ حُسْنِ مُعَاشَرَةِ النِّسَاءِ، رقم:1977

27- الترمذي، كتاب النكاح، بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، رقم:1162. وقال عنه الألباني: حسن صحيح

28- البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابٌ: مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَخَرَجَ، رقم:676

29- رواه ابن حبان، كِتَابُ الْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ، بَابُ التَّوَاضُعِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، رقم:5677، وصححه الألباني

30- ابن حبان، كِتَابُ الْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ، بَابُ التَّوَاضُعِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، رقم:5675

31- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط سنة1984م، ج:4، ص:287

32- أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم:1469

33- أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، رقم: 7111، من طريق حرملة بن يحيى، وقد حسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة»، رقم:2254، وحسنه أيضا الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على «صحيح ابن حبان» (16/48).

34- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:5، ص:38

35- البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الهِجْرَانِ لِمَنْ عَصَى، رقم:6078

36- البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، رقم:5191.

37- أبو دواد، كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، رقم:2142، وقال عنه الألباني: حسن صحيح

38- (قهرمان) هو الخازن قائم بحوائج الإنسان وهو بمعنى الوكيل

39- مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ، وَإِثْمِ مَنْ ضَيَّعَهُمْ أَوْ حَبَسَ نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ، رقم:996

40- أبو داود، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ، رقم:1691

41- مسلم، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ، وَإِثْمِ مَنْ ضَيَّعَهُمْ أَوْ حَبَسَ نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ، رقم:995

42- الشاطبي، الموافقات، ج:2، ص:224.

43- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج:22، ص:72

44- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج:5، ص:2763

45- من حديث طويل رواه البخاري، كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ رقم:6982

46- المرجع نفسه.

47- رواه البخاري، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ النساء 59، رقم:7138، ورواه أيضا في كتاب، بَابٌ: العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَلاَ يَعْمَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، رقم:2409، ورواه في كِتَاب العِتْقِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي، رقم:2554، ورواه في بَابٌ: العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، رقم: 2558 - مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، رقم:1829.

48 - القرطبي، أحكام القرآن، مج:3، ج:6، ص:35

49 - ابن كثير، أبو الفداء (ت 774)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط سنة1413هـ/ 1992م، ج:8، ص:126

50- البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، رقم: 1358 – مسلم، كتاب الْقَدَرِ، بَابُ مَعْنَى كُلِّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَحُكْمِ مَوْتِ أَطْفَالِ الْكُفَّارِ وَأَطْفَالِ الْمُسْلِمِينَ، رقم:2658

51- رواه الترمذي، كتاب الصلاة، بَابُ مَا جَاءَ مَتَى يُؤْمَرُ الصَّبِيُّ بِالصَّلَاةِ، رقم:407. قال الترمذي: وَفِي البَابِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو. حَدِيثُ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَعَلَيْهِ العَمَلُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ. وَبِهِ يَقُولُ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ

52- رواه أبو داود، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ مَتَى يُؤْمَرُ الْغُلَامُ بِالصَّلَاةِ، رقم: 495. وقال عنه الألباني: حسن صحيح.

53- وقد فصّل مالك بن نبي هذه المسألة في كتابه مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة دار الفكر الجزائر، ودار الفكر سوريا، سنة 1404 هـ/1984م، ابتداء من صفحة 97.

54- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص:77

55- المرجع نفسه، ص:50

56- المرجع نفسه، ص:74

57- المرجع نفسه.

58- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، ط6، سنة 2009م، ج: 8، ص:168 وما بعدها.

# مهارات التواصل الأسري، نماذج تطبيقية من القرآن الكريم

**Family communication skills, applied models from the Holy Quran**

بقلم : أ.د. بوسنان رقية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

## المقدمة:

أنزل القرآن الكريم من السماء إلى الأرض ليكون بمثابة الدستور الذي تسير به حياة الناس وتتحقق به عمارة الدنيا، فكانت من محاوره الكبرى العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، تتولاها المؤسسات المختلفة بالعناية والتطبيق والتنفيذ، فكانت الأسرة من أهم هذه المؤسسات، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، وهي مؤسسة التنشئة الأولى للأفراد والمحضن الطبيعي الذي يتخرجون منه، وقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بالأسرة، فوردت فيه آيات عديدة تفصل طبيعة العلاقة بين أفرادها، وكيفية تعاملهم، ضمن مسارات ومستويات تواصلية متعددة، العمودية منها والأفقية، فكان الخطاب القرآني يوجه العلاقة الصاعدة بين الآباء والأبناء، كما كان يوجه العلاقة الأفقية بين الأزواج من جهة وبين الإخوة من جهة أخرى.

جاءت هذه الورقة المقدمة لفعاليات الأسبوع الوطني الخامس والعشرين للقرآن الكريم، لتفصل في محور هام من محاوره، تحت عنوان مهارات التواصل الأسري، نماذج تطبيقية من القرآن الكريم، ضمن ما حدد من مسارات التواصل، ومخرجات هذه المهارات على بناء الأسرة السليمة المتصالحة في وجه المشكلات والآفات الاجتماعية التي تفرضها البيئة الخارجية ومتغيراتها وتطوراتها المتسارعة، لتؤكد على ضرورة

استنبات الحلول ضمن البيئة القرآنية التي تحث على الإصلاح الشامل لها وللمجتمع.

تبنت الورقة منهج استقراء آي القرآن الكريم لاستنباط مهارات التواصل الأسري، وتحليل هذه المهارات ضمن السياقات المكانية والزمانية المختلفة، والاعتماد على مختلف التفاسير التي تشرحها، وقد تعددت هذه المهارات من مستوى إلى آخر، ومن مسار إلى آخر، لتؤكد على شمولية وتوازنه في العرض واستيعاب الماضي والحاضر لبناء المستقبل المشرق وتوجيه الأسرة المعاصرة إلى المنهج المستقيم وأسس التربية الفاعلة.

## 1 - المفاهيم وسياقات طرحها

### 1.1 المهارات:

#### أ- المهارة في اللغة

تتفق قواميس اللغة العربية على تعريف المهارة على أنها الحذق، والإتقان، والبراعة، جاء في لسان العرب المهارة هي الحذق في الشيء والماهر هو الحاذق بكل عمل وأكثر ما يوصف به السابح المجيد (خياط والعلالي، 1988، ص541)، ويقال مهر في العلم فهو ماهر أي حاذق وعالم بذلك، ومهر في الصناعة ومهَرَها أي أتقنها (الفيومي، 2003، ص347)، والمهارة هي الحذق والبراعة (الرائد، ص1449)، ومهر الشيء، فيه وبه، أي صار حاذقا (الزبيدي، 2007، ص85)، والمهارة في معجم الصحاح، الحذق في الشيء (الجوهري، 2007، ص343).

#### ب-المهارة اصطلاحا:

يشير الباحثون في علوم الاتصال وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإدارة إلى عدة اصطلاحات إذا أطلقت أريد بها معنى المهارة وقد تم تحديد معانيها من خلال العبارات الآتية:

- جانب عملي تطبيقي يعتمد على الخبرة والمعرفة والتدريب وذلك للوصول إلى أفضل درجات تنفيذ المهمة المطلوبة لتحقيق الأهداف بكفاية وفاعلية (الزغبي، 2010،ص8).

- القدرة على أداء منظومة أو نمط مترابط ومنتظم من السلوك بإنسانية وتكليف وتوافق من أجل إنجاز هدف معين (الطيب، 2006، ص136).

- مجموعة خصائص النشاط المعقد الذي يتطلب فترة من التدريب المقصود والممارسة المنتظمة، بحيث يؤدي بطريقة ملائمة، وعادة ما يكون لهذا النشاط وظيفة مفيدة.

- الكفاءة والجودة في الأداء، أو هي السلوك المتعلم أو المكتسب الذي يتوافر له شرطان جوهريان، أولهما أن يكون موجها نحو إحراز هدف أو غرض معين، وثانيهما أن يكون منظما بحيث يؤدي إلى إحراز الهدف في أقصر وقت ممكن وهذا السلوك المتعلم يجب أن يتوافر فيه خصائص السلوك الماهر.

- مجموعة القدرات الشخصية التي تكسب المتعلم ثقة في نفسه وتمكنه من تحمل المسؤولية وفهم نفس الآخرين والتفاعل معهم بذكاء وإنجاز المهام الموكلة إليه بكفاءة عالية واتخاذ القرارات الصعبة بمنهجية علمية سليمة أو مجموعة من القدرات والكفايات المرتبطة بحياة الناس في شكل منهج متكامل لبناء وتنمية توجهاتهم السليمة مثل القدرة على التواصل الجيد والحسم في اتخاذ القرارات والقدرة على التفاوض.

- مجموعة من التمكنات المتعلقة بسلوك ايجابي يمكن الأفراد من المواجهة الفعالة لمطالب وتحديات الحياة اليومية، ومعنى ذلك، أنها مجموعة من المعارف النظرية والعملية في مجال من مجالات الحياة يتم اكتسابها عن طريق الخبرة والتجربة، لتمكن الفرد حين وجوده أمام مشكلة ما، من تبين الحل الملائم لها.

تقع المهارات في صنفين أو مستويين: الأول، المهارات الحياتية العامة وتعني القدرة على تفعيل مختلف المعارف لمواجهة نوع معين من الوضعيات التي تعترض حياة الأفراد"، والتي يتم توظيفها

في مجالات عدة من حياة الأفراد، ويتعامل فيها الفرد مع مجموعة كبيرة من الأفراد في مواقف عامة وتظهر متطلبات عامة ينبغي تعلمها وممارستها من جميع الناس، الثاني: المهارات الخاصة، وهي التي ترتبط بمجال معين من مجالات حياة الأفراد ولا تصدق على مجال آخر غيره ويتعامل معها في مواقف محددة ومع أفراد محددين وفي ظروف زمانية ومكانية محددة(عبد الطيف، 2011، ص353-351).

يتبين من خلال عرض المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لمفردة المهارة، أنها عملية وجهد مستمرين، يمران بجملة من المراحل وهي:

- التخطيط والتدريب ويستدعي مجموع القدرات العقلية والجسدية.
- أساليب الوصول إلى الهدف وتشمل الكفاءة، الفعالية، والجودة.
- تحقيق السلوك المنتظم والممنهج.
- تحقيق الهدف أي تحصيل التفاعل وإنجاز المهام واتخاذ القرار.

## 1 - 2 - الاتصال (التواصل):

الاتصال في اللغة لا يخرج عن معنى بلوغ الغاية، فالوصول هو البلوغ، والوصل ضد الهجران، وهو خلاف الفصل وضد الانقطاع، والاتصال يعني الانتماء والانتهاء إلى الشيء وبلوغه (ابن منظور، ص 4850)، ويعني الاتصال كذلك الارتباط والاستمرار والتلاصق، والتعلق (البعلبكي، 1944، ص30)، وعرف الباحثون الاتصال اصطلاحا من وجهات نظر مختلفة يمكن حصرها في:

- عملية نقل فكرة أو مهارة أو حكمة من شخص لآخر، وهو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة في مضامين اجتماعية معينة (السيد، 1995، ص23،24)، أو التفاعل بواسطة العلامات والرموز التي تكون على شكل حركات أو صور أو لغة أو أي شيء آخر يعمل كمنبه للسلوك، أو هو كل العمليات التي يؤثر بمقتضاها الناس على بعضهم البعض (رشتي، ص52-50).

- عملية تحويل المعاني بين أفراد المجتمع أوبناء الفهم المتبادل في إطار التفاعل بين شخصين أو أكثر أو تبادل المعاني عبر نقل المعلومات أو ضرورة إشراك المعلومات والمشاعر بين الناس عبر تبادل الرسائل اللفظية وغير اللفظية، أو وسائل إيصال المعلومات مع التركيز على نقل وتلقي المعلومات أو إنشاء فهم مشترك من خلال تفاعل بين شخصين أو أكثر (الطاهر، 2007، ص239).

- عملية تبادل المعلومات والآراء والمشاعر بين الأفراد وهي عملية عادة تتطلب مرسلا يكوّن رسالة ومتلقيا يفك رموزا أو يفهم الرسالة، وهو بالضرورة عملية اجتماعية تحتاج إلى لغة سواء منطوقة أو مكتوبة أو لفظية ليتم الاتصال بين الإفراد المختلف بعضهم عن بعض (نصر، 2002، ص67).

- عملية مشاركة في الخبرة وجعلها مألوفة بين إثنين أو أكثر من الأفراد. (سلامة، 2007، ص16)، وهو ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز غير المكان واستمرارها عبر الزمان وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت والكلمات والطباعة والتليفون وكل التدابير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان (عودة، 1988، ص6، 7).

يمكن القول وبناء على المفاهيم السابقة، أن الاتصال مفهوم شامل لجميع العمليات التي يقوم بها الفرد، مع غيره من الأفراد، وتتعدد أوجه هذه العمليات، فمنها الشخصية أو المواجهية - يعني وجه لوجه -، ومنها الجماعية، ومنها الجماهيرية، ومنها الأممية، فهو عبارة عن عملية ديناميكية تتعدد فيها الأطراف المتواصلة قصد تحقيق أهداف معلنة أو مضمرة ويترتب عليها أثر أجل، أو عاجل، وهو ما يصبو إليه كل متصل. وعملية الاتصال في مجملها تشمل خمس عناصر أساسية هي المرسل والرسالة والمستقبل والهدف والأثر.

### 1. 3 مهارات الاتصال

بعد توضيح المفاهيم المتعلقة بالمهارة على المستوى اللغوي والاصطلاحي وكذلك المتعلقة بالاتصال، نسوق جملة من التعريفات لمهارات الاتصال التي يستخدمها الأفراد في إقناع الآخرين بمجمل الرسائل أو المضامين الناجحة ومنها:

- القدرة على استخدام كل فنون الإقناع والتأثير عن طريق استخدام اللغة اللفظية وغير اللفظية من أجل تحقيق الهدف الأسمى من الرسالة وهو تحقيق تجاوب المستقبل معها ومعرفة اتجاهاته ودوافعه ومن ثم سلوكياته (حجاب، 2003،ص2387).
- أساليب التعامل والتفاهم مع الناس والتعاون معهم وتدعيم العلاقات وحل المشكلات (السنداني، 2009،ص 113).
- مجموع الخطوات الفنية والعملية التي يقوم بها الفرد من أجل اتصال فعال مع المحيطين به، وتشمل اللغة اللفظية وغير اللفظية، أو هي إنتاج أو توفير أو تجميع البيانات والمعلومات الضرورية لاستمرار العملية الادارية ونقلها وتبادلها أو إذاعتها بحيث تمكن للفرد إحاطة الغير بأمور أو أخبار أو معلومات جديدة(www.drkader.com).
- أخلص من خلال ما ورد من التعريفات السابقة إلى أن المفاهيم المتعلقة بمهارات الاتصال تتعدد وفقا للآلية التي يستخدمها المتصل، وقد تجسدت أنواع المهارات مما سيأتي ذكره في القرآن أحسن تجسيد، وقد أثمر هذا الاتصال تعديلا في سلوك الناس وطبائعهم ومواقفهم.

### 2. الأسرة:

تعرف بأنها مؤسسة اجتماعية، تضم مجموعة من الأفراد تربطهم صلة القرابة، وهي "الخلية التي تربي النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله، ففيها يعرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات وفيها تتكون مشاعر الألفة

والمحبة وتبذر بذور الإيثار وغيرها من الخلال والفضائل (المبروك، 1992، ص174).

يقع على الأسرة قسط كبير من واجبات التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة وحتى في المراحل التالية كذلك، وبفضل الحياة في الأسرة يتكون لدى الطفل الروح الجماعية والعواطف المختلفة وتنشأ الاتجاهات الأولى للحياة الاجتماعية المنتظمة، فالأسرة هي التي تجعل من الطفل إنسانا مدنيا وتعده للحياة في والمجتمع (الصالح، ص21-17)، يرى البعض أن المنزل هو العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة في المراحل الأولى ولا تستطيع أي مؤسسة عامة أن تقوم مقام المنزل في هذه الشؤون (الوافي، 1977، ص 22).

يعد نظام الأسرة في الإسلام ليس مجرد تنظيم لعلاقة الرجل بالمرأة وما يرتبط بهذه العلاقة من حقوق وواجبات، بل هو جزء من نظرة الإسلام للخلق وللكون ولمركز الإنسان في هذا الكون وللهدف من وجوده فيه، لذلك كان هذا النظام كلا متكاملا وكان جامعا مانعا، جامعا لكل أسباب الخير للإنسان والمجتمع، مانعا لكل أسباب الشر، والناظر إلى مفردات هذا النظام نظرة واعية يقف مبهورا لما يراه من إحكام البناء وتوافق النتائج مع المقدمات وتسلسل العناصر وتتابعها في نسق بديع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يحث الإسلام على تكوين الأسرة ويدعو إلى أن يعيش الناس في ظلالها، فهي الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التي تلبي رغائب الإنسان وتفي بحاجاته وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياة الناس منذ فجر الخليقة، وفضلهم به واتخذ من الأنبياء والرسل مثلا فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ الرعد38، وفي دعوة الإسلام إلى الأسرة وترغيبه فيها تبرز وظائف ومقاصد وتظهر ثمرات ذات أثر فعال وبعيد في حياة الفرد والأمة إذ هي نعمة من نعم الله وأية من آياته امتن بها على عباده واختارها لهم لتستقر بهم الحياة وتثبيت فطرة الله يقول

تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الروم21 وتأتي الآية مقرنة بالتنبيه والحث على العلم والتفقه والتفكير والتدبير وكل ما من شأنه يصلح حال هذا الركن العظيم من أركان المجتمع(الصالح،1986،ص16-9).

يهتم الإسلام بشكل ملحوظ ببناء الأسرة، وأسلوب تكوينها والنظم المؤدية إليها كالعلاقات الأسرية، وبيان حقوق الأبناء وحقوق الأزواج وأساليب مواجهة المشكلات والخلافات الأسرية إن وجدت وأساليب إنهاء العلاقة الزوجية إن استحالت الحياة الأسرية وبيان أساليب توزيع الميراث، وذلك أن الأسرة السوية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية وهي أساس المجتمع المتكامل إذ أنه في النهاية مجموعة من الأسر المتفاعلة إذا صلحت صلح المجتمع (بوطالب ،2001،ص168).

### 3. التواصل الأسري:

الاتصال والتواصل الأسري هو ذلك الذي يكون بين طرفين) الزوجين) أو بين عدة أطراف (الوالدين والأبناء) أو بين الإخوة، ويعني في أبهى صوره ذلك التوحد بين أفراد الأسرة والتفاعل بينهم حتى يصبحوا أصحاب لغة واحدة ومفاهيم موحدة أو على الأقل مفاهيم متقاربة(القصير، 1999، ص 35)، ويعرف بأنه الاحتكاك المتبادل بين أفراد الأسرة والواحدة، والذي يتم عادة عن طريق المعاشرة سواء بالحوار اللغوي أو التواصل المعيشي، والتفاعل داخل محيط معين، وهو تلك العلاقة التي تقوم بين ادوار الزوج والأبناء بما تحدده الأسرة، ويقصد به أيضا طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة، ومن تلك العلاقة التي تقع بين الزوج والزوجة وبين الآباء والأبناء، وبين الأبناء أنفسهم (أبو جادو، 2004،ص218).

## 1 - مهارات التواصل الأسري في القرآن الكريم

### 2. 1 مهارات التواصل الأسري وفق المسار الأفقي

يعد نجاح التواصل بين الزوجين وبين الإخوة من أهم المكاسب التي تحققها الأسرة لأفرادها، وقد أبان القرآن الكريم تلميحا لا تصريحا أهم المهارات التي يجب أن تتوفر ضمن المسار الأفقي لخصتها الباحثة في الآتي:

- التوازن في حل المشكلات:

يحدث داخل الأسرة الكثير من التجاوزات، وجب حلها برزانة وتوازن، حتى لا تنفلت الأمور ويترتب على هذا الانفلات ما هو أدهى وأمر، فمهارة الاتزان في حل المشكلات، تظهر في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع حفصة، فقد أسر لها حديثا وطلب منها كتمه، لكنها لم تحفظ ذلك السر وأعلمت عائشة رضي الله عنها، فعلم الرسول بذلك ليوجه لهما اللوم ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿4﴾ ﴾ التحريم ، فالآية توازن بين خيارين: إما التوبة بحفظ مقام النبوة واحترام خصوصيات الرسول أو خذلان الاثنتين بنصرة الرسول من الجميع وتحمل تبعات إفشاء سره (الاعتزال) .

- التنازل لصالح الطرف الأضعف:

يتم بهذه المهارة الاستقرار والتناغم وإشاعة الهدوء في المحيط الأسري ومواجهة الصراع والمشاكل، والتنازل لا يعني الضعف أو الهروب، بل يعني التوجيه والعفو والتسامح، ومن صوره التنازل الأخوي، ما يظهر في قصة يوسف عليه السلام، فقد عفا على إخوته بعد أصبح ملكا واعتلى عرش مصر، وتنازل عن حقه في محاسبة إخوته وقد صاروا في موقف أضعف ليكرمهم بجمعهم جميعا تحت عرشه ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿100﴾ ﴾ يوسف.

يمكن أن أستدل على مهارة التنازل بين الأزواج كمستوى أخرى من المهارة،

بمشهد حدث بين فرعون وزوجته، فهو الطاغية في قومه يتحول إلى إنسان رقيق، ويتنازل عن جبروته لصالح زوجته التي طلبت منه أن يتخذ موسى عليه السلام ولدا، ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ القصص، عن ابن عباس قال: لما أتت بموسى امرأة فرعونَ فرعونَ قالت: "قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ) قال فرعون: يكون لكِ، فأما لي فلا حاجة لي فيه»، فقال رسول الله ﷺ: ( وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتْ، لَهَدَاهُ اللهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرَأَتَهُ, وَلَكِنَّ الله حَرَمَهُ ذَلِكَ) (الطبري، ص386).

### - الاعتذار (تحمل الخطأ):

تكثر الأخطاء داخل الأسرة، وبدل اللجوء إلى مهارة الاعتذار، تصر الأطراف المتسببة فيها، على المضي في ارتكاب المزيد منها، فيتحول معها المكان إلى فوضى قد تتسبب في توتر العلاقات وقطعها، يعلمنها هارون هذه المهارة، ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ طه، فقد أقر بالخطأ واعتذر إلى موسى على التقصير الذي أوقعه في مشكلة عدم إخباره بحقيقة من استخلفهم فيه حيث تركهم، وليس عندهم راع ولا خليفة، وهذا يفرقهم ويشتت شملهم، ثم أردف وهو مستضعف من أخيه» فلا تجعلني مع القوم الظالمين. ولا تشمت فينا الأعداء، فكان من مخرجات الاعتذار، ندم موسى على ما صنع بأخيه، وهو غير مستحق لذلك (السعدي، ص318) ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ الأعراف

### - وضع الخطط لتجنب أي خسارة:

تضع كل المؤسسات خططا للتسيير على المدى القريب والبعيد، ووضع الخطط في إطار العلاقات الأسرية من الأهمية بمكان، لتجنب أي تفكك أو حدوث توتر، أوخسارة طرف من الأطراف مهما كانت صفته، ولعل في مشهد استرجاع يوسف لأخيه الصغير، ما يقدم لهذه المهارة، فقد نجاه الله ليكون أمينا على خزائن مصر، ولما اشتد الأمر على

كسب إخوته، استقبلهم، وأكرمهم، لكنه لم يفصح عن نفسه، ليوقعهم في مأزق مع أبيه من جديد، ووضع خطة قصيرة، ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿70﴾ ﴾ يوسف، استدراجا لعودتهم ثم توبتهم، وعادت الأسرة لتجتمع بفضل حلم يوسف وحكمته ورحمته.

## 2. 2 مهارات التواصل الأسري وفق المسار العمودي

يتم هذا الاتصال في صورة تنازلية من الآباء إلى الأبناء، وبصفة تصاعدية من الأبناء إلى الآباء، والترتيب يعني، تقدير مستوى السلطة، فعادة ما تكون التربية أبوية يقدرها الأبناء بصفة آلية من غير افتعال المشكلات أو المعارضة، وهو الأصل، بينما تتم في الثانية بطريقة استثنائية حيث تتحول الأدوار، فيأخذ الأبناء موقع الآباء في النصح والتوجيه، ويمكن الاستدلال على المهارات الاتصالية وفقا للصفتين من خلال المشاهد القرآنية المتعددة السياقات.

### أ - مهارات المستوى النازل (من الآباء إلى الأبناء):

#### - تحديد أولويات الوعظ:

وتتضح من خلال وعظ لقمان لابنه، فباشر بنهيه عن الشرك بالله وإفراده بالعبودية، وهو جوهر التوحيد الذي تقوم عليه كل مناسك العبادة ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿13﴾ ﴾ لقمان، ونبهه إلى صفات الله الكاملة والتي لا يمكن لبشر أن يتصف بها، أو يماثلها، فأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ووجه كونه عظيما، أنه لا أفظع وأبشع ممن سَوَّى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوَّى الذي لا يملك من الأمر شيئا، بمن له الأمر كله، وسوَّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوَّى من لم ينعم بمثقال ذرة(من النعم) بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه،

ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟؟، !وهل أعظم ظلما ممن خلقه اللّه لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة(فجعلها في أخس المراتب)، وجعلها عابدة لمن لا يسوى شيئا، فظلم نفسه ظلما كبيرا (السعدي،ص 412).

ثنى لقمان في وعظه متدرجا لينصح ابنه بإقامة الصلاة التي تتحقق بها العبودية وينتفي معها الشرك، ولأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، فجاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعدها، ثم أمره بالصبر وهو من ضرورات نجاح المهمة أو العمل عند التعرض للمشاق والمتاعب والابتلاءات ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ ﴾ لقمان.

### - التوقع

يعبر عن استباق الأحداث، ومعرفة مجرياتها، ولا تتأتى هذه المهارة إلى لمن يملك الحدس والحكمة والبصيرة، مارسها يعقوب عليه السلام وهو يحاور إخوة يوسف، الذين سلموا أنفسهم للشيطان ليفعل فعلته، فقد أخبر يوسف والده برؤياه ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ ﴾ يوسف، وقد كان الصبي الجميل المقرب إلى والده كما يدل السياق، بل كانت فيه خصال النبوة وهذا متوقع عند والده ، فتوجس وخاف ونهى ابنه عن إخبار إخوته ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ يوسف، لكن دهاء الإخوة الذين كانوا يلاحظون الميل الأبوي ليوسف جعلهم يحتالون حتى تحققت لهم النوايا وكادوا ليوسف، ثم رجعوا فيستقبلهم الوالد بعد مشاهد عدة، بالحزن ثم بالصبر، وأخيرا بالاستبشار واللقاء.

### - التحمل (مواجهة الابتلاء)

لا تتحقق هذه المهارة إلا بالصبر على كل المشكلات والابتلاءات التي يصاب

بها أفراد الأسرة، فقد يجنح أحدهم إلى مخالفة القيم والأخلاق الأسرية، ويسير في الطريق المظلم المفضي إلى سوء العاقبة، مما يتطلب اتحمل الكبير في معالجة هذا الجنوح، ويستدل على ذلك بما جاء في حوار نوح مع ابنه، وهو يدعوه بإصرار ليركب السفينة ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ هود. فيقابل الابن العاق الدعوة بالرفض والمكابرة، ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ..﴾ هود 43، لكن الله يختبره في فلذة كبده ليكون مع الهالكين ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ هود، ولولم يتحمل نوح عقوق ابنه وأصر على الركوب لهلك معه، لكنه واجه الابتلاء وانصاع لأمر ربه لينطلق بالبقية إلى بر الأمان تصاحبهم رعاية الله عزوجل، وظل نوح يأمل من الله أن تشمل رحمته ولده ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥﴾ هود، «فحملته الشفقة، وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا، فقد فوض الأمر لحكمة الله البالغة»(السعدي، ص226)، ويمكن الاستدلال على هذه المهارة أيضا، من خلال قصة إبراهيم الذي هم بذبح ولده إسماعيل، ففداه الله عزوجل بذبح عظيم، لينجح نوح في تحمل مسؤوليته والصبر على محنته.

### - الحس الأسري:

تتجسد هذه المهارة من خلال ترتيب أولويات التربية، فيكون الأقربون هم الأولى بها، ولا يمكن أن يقوم الفرد مهما كانت صفاته بالدعوة إلى تربية الآخرين، ويقصر في حق أسرته، وقد لا يلبي الآخرون دعوته، وهم يلحظون الانحراف داخل أسرته، فهذا النبي والرسول إسماعيل ينطلق من داخل الأسرة ليشرع في الدعوة بثقة يقابلها مرضاة الله عزوجل ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ مريم، لقد

كان مقيما لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصا أخص الناس عنده وهم أهله، لأنهم أحق بدعوته من غيرهم(السعدي،ص309)، وتتكرر الدعوة لتفعيل الحس الأسري في مجال العبادة في قول الله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿132﴾ ﴾ طه.

- الحذر:

يعد من مهارات الانتباه للتفاصيل، والذكاء العاطفي والحذر هو اتخاذ التدابير المسبقة لتفادي أي وقوع في مشكلة أو مكيدة، وهو التجنب الفطن والقراءة المتأنية للسياق التي تجري فيه الأحداث والتموقع المعزز بالإدراك والنباهة، تبرز هذه المهارة تحديدا في حديث أم موسى مع أخته، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿11﴾ ﴾ القصص، فالأم توصي ابنتها بأن تحذر في تتبع مصير أخاها، والتنبيه إنما ينم عن انتباهها لتفاصيل ما سيحدث إن اتضح أمر البنت، «فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه، عقوبة لأهله»(السعدي، ص386).

ب- مهارات المستوى الصاعد (من الأبناء إلى الآباء):

نادرا ما تتغير الأدوار داخل الأسرة، فيأخذ الأبناء دور التوجيه والنصح والفهم السديد، ولا يصح ذلك إلا لمن توفرت لهم القدرة، والموهبة، والعناية الإلهية ومن أهم هذه المهارات:

- الثقة بالنفس

تقدم هذه المهارة الشيء الكثير للفرد الذي يمتلكها، فهي تعينه على تحمل كل ما يعترضه من مشكلات صغيرة او كبيرة، كما تجعله أكثر تفهما وتقديرا لمن حوله، وتمكنه من اتخاذ القرار الصائب، تتضح هذه المهارة في مشهد تواصل بين إبراهيم وابنه إسماعيل، حين رأى في المنام أنه يذبحه، لم يخف الابن وقابل ذلك بالصبر والإصرار على الطاعة، طاعة الله تعالى

وطاعة أبيه، ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ الصافات، فكان جزاء هذه الطاعة (وهي القرار الصائب)تكريم إسماعيل بالنبوة بعد أن صدق وعده، ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ مريم.

### -المبادرة

تحتاج الكثير من المؤسسات إلى هذه المهارة، وهي تميز الفرد الفطن والفاعل من غيره، وهي مطلوبة داخل الأسرة لإدارة الكثير من متطلباتها، والتعاون على تحديد المتعاملين معها بطريقة نافعة، ظهرت هذه المهارة في مشهد بنت شعيب، حيث كانت في قمة النباهة والفطنة، فقد كانت ترقب موسى وهو يسقي بأمانة، فسارعت إلى الحديث مع والدها وهي واثقة، فيضع الوالد كل الثقة في ابنته ويقبل عرضها لتكون المكافأة ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ القصص 27.

### - سرعة البديهة (البرهنة والاستدلال)

تعترض الأسرة المعاصرة العديد من المشكلات التي تحول دون توحيد الله عزوجل، وهي المشكلات نفسها التي اعترضت الأنبياء والرسل، وليس هناك أشد من أن يكون في عين الشرك أب أو أخ أو أخت أو إبن، فتصبح دعوته أشق على النفس إن استعصى الأمر، وهذا يتطلب مهارة سرعة الاستدلال والبرهنة على وحدانية الله عزوجل، ولعل في أسلوب إبراهيم في خطاب والده ما يؤسس لهذه المهارة، ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾ الأنعام، فقد وصف الآلهة بالأصنام وكما هو معلوم فالأصنام حجارة تعبد لا تنفع ولا تضر، وقد فعل إبراهيم فيها فعلته فحطمها، ولما سأله قومه ( وفيهم والده)، أجاب بدهاء وببديهة ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ الأنبياء.

- التعليل:

تعد مهارة العليل من أهم المهارات التي يجب أن يكتسبها أفراد الأسرة، للإقناع بترك التصرفات المشينة أو اعتناق التصرفات المحمودة، ومن شأن ذلك أن يرفع من نجاح أهداف التواصل بين أفرادها، والامتثال للنصيحة التي لا يستقيم أمر الإنسان إلا بها، وقد أوضح القرآن الكريم هذه المهارة في حوار إبراهيم مع أبيه وهو يدعوه إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان، ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿44﴾ ﴾ مريم، فقد نهاه عن عبادة الشيطان ، لأنها جهل وانحطاط في التفكير ، ووضح له أن عبادة الأصنام، هي عبادة وطاعة للشيطان الذي هو عدو الإنسان، ثم علل له هذا النهى بقوله: إن الشيطان الذي أغراك بعبادة هذه الأصنام كان للرحمن عصيا، أي كثير العصيان، لا يهدى الناس إلى طاعة الله، وإنما يهديهم إلى مخالفته ومعصيته وموجبات غضبه(طنطاوي، ص41، 42).

- الرفق:

الرفق ضد العنف والشدة، ويراد به اليسر في الأمور والسهولة في التعامل، ويحمل معاني اللين واللطف، وله دور مهم في حياة الفرد وما يترتب عليه من مهام وأدوار يقوم بها، كذلك للرفق دور رئيسي في العلاقات الاجتماعية (وتحديدا العلاقات الأسرية) وما له من أثر جميل يدل على الاستقامة والاعتدال في التصرفات، ويسوق لنا القرآن الكريم من الآيات ما يدل على أهمية الرفق وضرورة التحلي به في كل الأحوال، فيحضر الرفق في توجيه إبراهيم لأبيه، ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿45﴾ ﴾ مريم، يقول صاحب الكشاف: ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يصف أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك.. ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه، بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل.. ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة، وما يجره ما هو

فيه من الوبال، ولم يخل ذلك من حسن الأدب، حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له، وأن العذاب لاصق به، ولكنه قال: إِنِّي أَخافُ أَنْ يَمَسَّكَ.... وصدر كل نصيحة من النصائح الأربع بقوله: يا أَبَتِ توسلا واستعطافا... (الزمخشري، ص19).

**خاتمة:**

لقد حرص القرآن الكريم على التأسيس لمهارات التواصل داخل الأسرة، حتى يحافظ على كيانها ووظيفتها الاجتماعية، فساق من القصص والآيات ما يكفي، موجها كل أفراد الأسرة على مختلف مستوياته لتعلمها وتعليمها، فالمهارات هي فن الممكن والإمكان، تحفظ العلاقات بين أفراد الأسرة وتقويها، وتسهم في التربية والتوجيه.

تعددت مهارات التواصل الأسري في القرآن الكريم، لتشمل التوازن في حل المشاكل، والتنازل لصالح الطرف الأضعف، والاعتذار، ووضع الخطط، والمبادرة، والثقة، وسرعة الاستدلال والبرهنة والتعليل ويمكن أن نخصص أبحاثا أخرى لبحث المزيد من هذه المهارات التي تسهم بشكل كبير في توطيد أواصر العلاقات الزوجية والأخوية والأبوية، وتعمل على إبراز صورة الأسرة المسلمة كما وردت في نصوص الوحيين ونصوص التراث الإسلامي.

## قائمة المصادروالمراجع


- ابن منظور. (دت) لسان العرب. لبنان: دار المعارف.
- أبو جادو، صالح محمد علي. (2004). سيكولوجية التنشئة الاجتماعية. ط4. الأردن: دارالميسرة.
- البعلبكي، منير. (1944) قاموس المورد. لبنان: دار القلم.
- بوطالب، عبد الهادي. (2001). مفهوم الأسرة ووظيفتها ومسؤولياتها في الديانات والإعلانات ومواثيق الأمم المتحدة في:أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر، الدورة الربيعية ،الرباط.
- الجوهري، إسماعيل ابن حماد. (2007) معجم الصحاح. بيروت: دار المعرفة.
- حجاب، محمد منير. (2003) الموسوعة الإعلامية. مصر: دار الفجر.
- خياط، يوسف والعلالي، عبد الله. (1988). لسان العرب المحيط، بيروت: دارلسان العرب.
- الرائد، جبران مسعود. (دت). بيروت: دار العلم للملايين.
- رشتي، جيهان أحمد. (دت). الأسس العلمية لنظريات الإعلام. القاهرة: دار الفكر العربي. الزبيدي، محمد مرتضى. (2007). تاج العروس. بيروت. درا الكتب العليمة.
- الزغبي، ظلال عبد الله وآخرون. (2010) مهارات الاتصال الجماهيري. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- الزمخشري، محمود. (1987). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. القاهرة: دار الريان للتراث.
- سلامة، عبد الحافظ. (2007) الاتصال وتكنولوجيا التعليم. الأردن: دار اليازوري.
- السعدي، عبد الرحمن. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السنداني، عادل إبراهيم. (2009). التقويم والقياس ومهارات الاتصال في العلوم الاجتماعية. القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- السيد، فهمي محمد. (1995) تكنولوجيا الاتصال في الخدمة الاجتماعية. مصر: دار المعرفة الجامعية.
- الصالح، سعاد إبراهيم. (1986) أضواء على نظام الأسرة في الإسلام، تهامة، المملكة العربية السعودية.
- الطاهر، لبيب. (2007). لموسوعة العربية للمعرفة من اجل التنمية المستدامة. بيروت: الدار العربية للعلوم.

- الطبري، أبو جعفر. (دت). جامع البيان عن تأويل آي القرآن مكة المكرمة: دار التربية والتراث.
- الطنطاوي، سيد. (1997). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطيب، عصام. (2006) على أساليب التفكير ونظريات ودراسات وبحوث معاصرة. القاهرة:عالم الكتب.
- عبد الطيف، أبو أسعد. (2011) علم النفس الارشادي. الأردن: دار الميسرة.
- عودة، محمود. (1988). أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي. بيروت: دار النهضة العربية.
- الفيومي، أحمد. (2003). المصباح المنير، القاهرة: دار الحديث.
- القصير، عبد القادر. (1999). الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية، دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري. بيروت: دار النهضة العربية.
- مبارك، عبد القادر. مهارات الاتصال الفعال. www.drkader.com/Training/17_Contact.Skills
- نصر، أحمد أمين. (2002) الاتصال اللغوي للطفل التوحيدي. الأردن: دار الفكر.
- الوافي، علي عبد الواحد. (1977). الأسرة والمجتمع. القاهرة: دار النهضة.
- المبروك، عثمان. (1992). تربية الأولاد والآباء في الإسلام. دمشق: دار قتيبة.

# مقاصد الحج وأثرها في تغير الفتوى

بقلم : د. عبد القادر قطشة
المدير الفرعي للتوجيه الديني والإرشاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد، فقد جاءت الشريعة لتحقيق مصالح العباد ودفع كل ما يضرهم وكل ما شرعه الله تعالى منوط بالقدرة والاستطاعة ابتداء إلا إذا طرأ على العبد طارئ فيتغير الحكم بخصوصه دون غيره، ما لم تعم به البلوى، كما حدث في فترة كورونا مما انجر عنه غلق للمساجد وإسقاط لصلاة الجمعة وغيرها من الأحكام الفقهية على وفق فقه الواقع وإعمال المقاصد، أما والأصل أنه إذا طرأ على العبد حالة تمنعه من أداء ما افترضه الله عليه من العبادات فقد خفف الله عنه التكليف بإسقاط بعض الشروط أو الواجبات أو بانتفاء العمل إلى أجل، فأسقط الله شرط استقبال القبلة والقيام للصلاة والركوع والسجود عن العاجز كل بحسب عجزه، وعن المسافر وعن المريض الصوم، وما إلى ذلك مما هو معروف عن سماحة الشريعة ويسرها، وأسقط عن الحاج بعض الأحكام مراعاة لحاله وقدرته، وترك الاجتهاد للمجتهد ليفتي في حدود مراعاة الحال مما تسمح به النصوص الشرعية إعمالا للقواعد الفقهية والمقاصد الشرعية.

ومن هذا المنطلق فإن بعض فتاوى الحج مراعاة لظروف الحال والزمان والمكان طرأت عليها تغيرات مراعاة لمقصد الشرع متمثلة في:

- رفع الحرج.
- المشقة تجلب التيسير.
- لا ضرر ولا ضرار.
- إذا ضاق الأمر اتسع، وغيرها من القواعد الفقهية

وإذ أردنا أن نضرب بعض الأمثلة على ما سبق ذكره فإن أحكاما فقهية عدة

قد تغيرت فيها الفتوى مراعاة لإعمال القواعد بالنظر إلى المحافظة على المقصد العام من العبادة ومن هذه الفتاوى:

الفتوى بالإحرام من جدة عوض الجحفة مراعاة لحال الحجاج، مع ما في الطائرة من محاذير وخطر وصعوبة الإحرام في الطائرة إلى غيرها مما ليس هذا مجال ذكره هنا.

- ترك المبيت في منى لضيق المكان تخفيفا.

- التوسع في زمن رمي الجمار.

- التسهيل في ارتداء النظارة والخاتم والساعة خاصة التي تحمل تحديد الموقع أو الأسورة التي تحمل البيانات.

- التجوز في لبس الحذاء خاصة لمرضى السكري.

- ترجيح ما كان مرجوحا في الرمي قبل الشروق أو طلوع الفجر.

- وغيرها من المسائل التي استجدت بتطور الزمن.

والباحث يحاول من خلال تغير الفتوى الربط بين مقاصد الشريعة وإعمال القواعد الفقهية، التي استند إليها الفقهاء لبيان سماحة الدين ويسره ومواكبته لمقتضيات العصر وتجدد الأحوال.

فمقاصد الحج على تنوعها وتعددها، يمكن لنا تعداد بعضها على سبيل الذكر لا على سبل الحصر منها:

- توحيد العبادة والإخلاص لله عزوجل.

- تعظيم شعائر الله.

- تربية النفس على مكارم الأخلاق ونهيهم عن رذائلها.

- الإكثار من ذكر الله.

- كسر جبروت النفس وتعاليها على الناس.

- العمل للدنيا كما العمل للآخرة.

- رفع الحرج عن الحجاج.

- التشبه بأحوال الآخرة.

- التعاون والتكافل.

- المحافظة على البيئة كعدم تقطيع شجرها وترويع حيواناتها.

هذا غيض من فيض في بيان مقاصد الحج وأثره على الفرد والمجتمع والدولة بل والعالم بأسره؛ وفي بحثي هذا سأتطرق إن شاء الله إلى بعض الفتاوى الشرعية، وكيف أن إعمال المقاصد الشرعية أثرت إيجابا في رفع الحرج عن الحجاج، مع أن كتب الفقه القديمة ضمنت فتاوى لا تتوافق ومقتضيات حال المكان والزمان في هذا العصر، وسيتضح المقال عند سرد بعض الأمثلة المبينة لما سبق ذكره.

هذه أهم محاور البحث والله من وراء القصد وهو يهدي سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

## بعض المسائل الفقهية المتعلقة بفقه التيسير في الحج:

إن مسائل الحج والعمرة تتطلب منا إعادة النظر في مشكلاته، والعمل على إيجاد الحلول والمخارج الشرعية بما يتوافق وروح الشريعة الغراء، فما وصل إليه حال المسلمين في الحج من فوضى وعدم الانتظام والانسجام مما أدى إلى هلاك الأنفس وتشويه صورة الإسلام، مما هو مناف لمقاصد الشرع ومنابذ لمقتضيات العقل والطبع (1)

وقد صنَّف جماعةٌ من العلماء في أحكام النوازل وفقهها؛ منهم من صنَّف في أبواب التأصيل والتقعيد لهذه المسائل من غير خوضٍ لمسائل النَّوازل على مَرِّ الزمان، ومنهم من جمع مسائل النوازل على وَجْه العموم التي قد مَرَّت به، وهي ما يسميه العلماء - رحمة الله عليهم - في مصنفاتهم بالفتاوى؛ أو يسمونهم بالنوازل، أو النوادر، أو كذلك في عصرنا ما يُسمّونها بفقه الواقع أو الفقه المعاصر، ونحو ذلك يقول المُزَني - عليه رحمة الله - : ( ولا زال الصحابة - عليهم رضوان الله تعالى - وأئمة السلف - تابعاً عن تابعٍ - يأخذون وينظرون إلى مقاصد التشريع؛ فما وافق الحق حق وما وافق الباطل باطل؛ فيأخذون بالأقيسة في ذلك والاعتبار فيها).

ومشاركة مني في رفع اللثام عن بعض المسائل الفقهية في الحج خاصة وبيان سماحة الشريعة ويسرها أضع بين يدي القارئ هذه المسائل وبيان ما جرى عليه العمل لدى فقهائنا المتأخرين، وأفتت به لجنة الفتوى بالبعثة الرسمية للدولة

الجزائرية لحجاجنا الميامين **ولما عرف في الضوابط الفقهية أن مبنى الحج على التخفيف** (2)

## المسألة الأولى: مسألة الإحرام من جدة (3)

مما ينبغي ذكره هنا أن النبي ﷺ حدد المواقيت المكانية فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ وَقَّتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ وَلأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ وَلأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ وَلأَهْلِ الْيَمَنِ يَلَمْلَمَ فَهُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمُهَلُّهُ مِنْ أَهْلِهِ وَكَذَاكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهِلُّونَ مِنْهَا. (4)

والمسألة المراد الحديث عنها هنا من يأتي بالطائرة أو السفينة فمن أين يحرم؟ هل من جدة أو من الطائرة أو السفينة باعتبار القول بالمحاذاة، هذه المسألة أشبعت بحثا بعد خلاف بين فقهاء العصر الحديث كونها طرأت هذا الزمن، واختلفوا فيها إلى أربعة أقوال(5) **القول الأول:** لا تعتبر جدة ميقاتا وليس لها حكم المحاذاة، **القول الثاني:** أنها ميقات مكاني مطلقا، **والقول الثالث:** أنها ميقات لأهل السفن، **والقول الرابع:** أنها ميقات لمن لا يمر على الميقات أو يحاذيه، ومن أفتى بجواز الإحرام من جدة كونها ميقات فرعي كذات عرق فلم يذكرها عليه الصلاة والسلام وإنما باجتهاد من عمر أخذا بفهم الحديث « هن لهن ولمن مر عليهن» والناظر في جوانب المسالة وأدلة كل فريق يرى أن القول باعتبار أن جدة ميقاتا فرعيا لكل من أتى إليها من الجو أو البحر هو القول الأصلح والأظهر إعمالا للقواعد العامة الآتية:

- المشقة تجلب التيسير (6) والإحرام في الطائرة فيه من المشقة الواضحة مما يستوجب علينا القول بجواز الإحرام من جدة.
- توقع الخطر كتحققه وقيام المحرمين جميعا في الطائرة للاستعداد للإهلال بالنسك فيه خطر على الطائرة مما يهدد حياتهم.
- أن تأثيم ملايين المسلمين ليس من مقاصد الدين ولا من أهداف

الشريعة فمادام أن الأمر يحتمل وأن المسألة ليس فيها تجاوز لكتاب الله ولا لسنة رسول الله ﷺ تجاوزًا صريحا وأن هذا له مسوغ من كلام أهل العلم فإنه لا معنى أن نذهب للقول الأشد أو حتى الأحوط، لأن الأحوط أحياناً يكون فيه حرج على مئات الملايين من المسلمين الذين يأتون في كل عام للحج والعمرة.

- أنه متى كان أصل فرض الحج موقوفاً على الاستطاعة، وكونه يسقط بجملته عمن لا يستطيعه سقوطاً كليًّا بدون استنابة على القول الصحيح، ويسقط عمن يخاف على نفسه خوفاً محققاً، فكذلك سائر واجباته، تسقط عمن لا يستطيعها بدون استنابة، ولا فدية. ومتى كان الأمر بهذه الصفة، وأن جميع الطائرات التي تحمل الحاج مكلفة حسب النظام بالنزول في مطار جدة...والنبي ﷺ قال في المواقيت: **(هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن)** ومن المعلوم أن مرور الطائرة فوق سماء الميقات، وهي محلقة في السماء، لا يصدق على أهلها أنهم أتوا الميقات المحدد لهم.

## المسألة الثانية: حكم استعمال الصابون والشامبو المعطر

ذهب جمهور العلماء عملا بالأحاديث الواردة في منع التطيب للمحرم وأنه لا يمس ورس ولا زعفران وحديث النهي عن تحنيط الميت المحرم وغيرها مع القول بجواز التطيب قبل الإحرام للأحاديث الواردة في ذلك، غير أنه في هذا العصر ظهرت عدة مطهرات يستعملها الناس في حياتهم اليومية كالصابون المعطر والشامبو ومعجون الأسنان بنكهات مختلفة، وفي هذه الحالة هل يجوز للمحرم استعمال هذه المنظفات والمطهرات ذوات الروائح العطرة أم لا؟

ونظرا لعموم البلوى بهذه المنظفات المعطرة فقد رجح جمع من العلماء المعاصرين جواز استعمالها بضابط واضح ألا وهو أن لا تكون هذه الروائح مما يتخذه الناس طيبا، فمثلا الصابون بنكهة الليمون أو التفاح أو السفرجل أو

النعناع مثلاً هذه كلها روائح طيبة لكن لا يذهب الشخص إلى دكان العُطُور ويقول أُريد عطراً برائحة التفاح أو طيبا برائحة الليمون هذا ليس مما يتخذه الناس طيباً، أما الصابون أو المنظفات المعطرة بروائح عطريه مما يتخذه الناس طيباً وعطرا فنجد صابونا معطرا برائحة العود أوبرائحة المسك أوالبخور أوالعنبر فهذه المنظفات بهذه الصفة يترجح فيها المنع (7)

## المسألة الثالثة: طواف المرأة الحائض

المرأة إذا حاضت في وقت طواف الإفاضة فلها خمس حالات اثنان متفق عليها والباقي مختلف فيها:

- **الحالة الأولى:** أن تبقى في مكة حتى تطهر ثم تطوف طواف الإفاضة
- **الحالة الثانية:** أن تعود إلى بلدها وتبقى على إحرامها إلا إذا تحللت التحلل الأصغر فيمنع عنها الجماع حتى تعود وتطوف طواف الإفاضة، وهذا لا يخفى ما فيه من المشقة والعنت.
- **الحالة الثالثة:** تستعمل دواء يرفع عنها الحيض لتتمكن من الطواف ولا شيء عليها
- **الحالة الرابعة:** العمل بقول طائفة من المالكية أن طواف القدوم يحل محل طواف الإفاضة، وجماهير العلماء على خلاف هذا القول.
- **الحالة الخامسة والأخيرة:** أن تغتسل وتتحفظ حفاظا محكما ثم تطوف طواف الإفاضة (8)

## القول الأخير أوفق باعتبار القواعد العامة منها:

- المشقة تجلب التيسير،
- رفع الحرج
- الضرورة تقدر بقدرها فلا حرام مع الضرورة ولا واجب مع العجز، كما هو مقرر في قواعد الشريعة.
- إذا دار الأمر بين الإخلال بالعبادة أو الإخلال بشرطها، كان الإخلال بشرطها أولى من الإخلال بها.

## المسألة الرابعة: المبيت في منى أيام التشريق

أولا ذهب جمهور أهل العلم [9] إلى أن المبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر واجب ومن تركه بدون عذر فعليه الفدية، ومن اختار التعجيل فيسقط عنه المبيت ليلة الثالث عشر، وأما من أدركه غروب يوم الثاني عشر فيجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر وجوبا، هذا لمن لم يكن له عذر فإن كان له عذر فينظر هل له تعلق بالمكان أو بالذات فإن كان مريضا يشق عليه المبيت ففي حقه الفدية، أما إن كان ترك المبيت بسبب خارج عن قدرته كضيق المكان فلم يتمكن من البقاء فيها للزحام وغيره، فإنه يسقط عنه المبيت ولا شيء عليه نظرا لما يأتي:

- القياس على ترك المبيت من أجل السقاية فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيتَ بِمَكَّةَ لَيَالِيَ مِنًى مِنْ أَجْلِ سِقَايَتِهِ فَأَذِنَ لَهُ [10]. وعلى رعاة الإبل عن أبي البداح بن عاصم بن عدي عن أبيه: أن رسول الله ﷺ رخص للرعاة في البيتوتة يرمون يوم النحر واليومين اللذين بعده يجمعونهما في أحدهما (11).
- إعمالا لقاعدة «**إذا ضاق الأمر اتسع**» ، وهنا ضاق مكان منى بالحجاج فلم يوجد، فاتسع الأمر إلى سقوط وجوب المبيت.
- رفع الحرج عن الحجاج، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام «**افعل ولا حرج**» [12].
- المشقة تجلب التيسير فمبيت الحجاج في الطرقات والشوارع لما فيه من مشقة وحرج وقد قال ابن تيمية:» فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإذا كان الفعل ممكنا مع المفسدة الراجحة لم تكن استطاعة شرعية، كالذي يقدر أن يحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله». اهـ (13).
- القاعدة الأصولية الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من الفضيلة

المتعلقة بزمانها ومكانها، والفضيلة المتعلقة بزمانها أولى من الفضيلة المتعلقة بمكانها والذي يتعذر عليه المبيت ولا يجد إلا الأرصفة لا يمكنه الإتيان بالعبادة على وجهها الأفضل، فيسقط عنه المبيت.

- إعمال قاعدة غلبة الظن، فإن غلب على ظنه عدم وجود مكان يبيت فيه في منى سقط عنه المبيت.

## المسألة الخامسة: رمي الجمار قبل الزوال أيام التشريق وفي الليل.

اتفق العلماء على المنع من رمي جمرة العقبة يوم النحر قبل منتصف الليل، كما اتفقوا على أفضلية الرمي بعد طلوع الشمس

أما في أيام التشريق فاتفقوا على جواز الرمي بعد الزوال، واختلفوا في رمي الجمار قبل الزوال وفي الليل على عدة أقوال منها:

**القول الأول:** أن رمي الجمار في أيام التشريق لا يجوز قبل زوال الشمس ومن رمى قبل الزوال لم يصح رميهُ وعليه أن يعيد الرمي مرة أخرى. وهو قول جماهير أهل العلم [14].

**القول الثاني:** قال إن الرمي قبل الزوال لا يصح ولا يجزئ إلا في يوم النفر الآخر وهو اليوم الثالث عشر للمتأخر فمن تأخر إلى اليوم الثالث عشر جاز له أن يرمي قبل زوال الشمس وهذا القول رواية في مذهب الإمامين أبي حنيفة وأحمد [15] - عليهما رحمة الله تعالى - أما بقية الأيام الحادي عشر والثاني عشر فلا يجوز ولا يصح الرمي قبل الزوال.

**القول الثالث:** قال أصحابه إنه يجوز الرمي قبل الزوال مطلقا في جميع أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لمن تأخر وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة وقال به جمع من أئمة من المذاهب وجمع من العلماء المعاصرين [16].

وبالنظر إلى الأدلة التي استدل بها المانعون للرمي قبل الزوال وأدلة المجيزين للرمي بعد الزوال يترجح القول بجواز الرمي قبل الزوال وبعد الغروب بإعمال القواعد الشرعية التالية:

- تغير الفتوى بتغير الأحوال والزمان لعدم وجود نص صحيح صريح، فمجال الاجتهاد مفتوح حينئذ.
- وجود الحالة الملحة.
- قاعدة رفع الحرج.
- قاعدة» لا ضرر ولا ضرار» دفعا للزحام وحفظا للأنفس من الهلاك والأموال من الضياع.
- قاعدة مراعاة ذات العبادة أولى من مراعاة زمانها ومكانها [17].
- أن الرمي قبل الزوال مسكوت عنه رحمة بالخلق، والمسكوت عنه يبقى على حكم الجواز مع الاتفاق على أن الرمي بعد الزوال هو الأفضل والسنة.

أما وقت بداية الرمي بعد ترجيح قول من قال بجواز الرمي قبل الزوال فإن الرمي يبدأ من بعد طلوع الفجر والأفضل بعد طلوع الشمس عملا بحديث ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْمُزْدَلِفَةِ أُغَيْلِمَةَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَلَى حُمُرَاتٍ فَجَعَلَ يَلْطَحُ أَفْخَاذَنَا وَيَقُولُ (أُبَيْنِيَّ لاَ تَرْمُوا الْجَمْرَةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ) [18] استئناسا والله تعالى أعلم

## المسألة السادسة: عدم دخول مزدلفة حتى طلوع الشمس

اختلف العلماء في حكم المبيت بمزدلفة (ويعبر عنه بالنزول بمزدلفة) على ثلاثة أقوال الأول أنه ركن والقول الثاني قول الجمهور أنه واجب وقول ثالث أن المبيت بمزدلفة ليلة العيد سنة وبالنظر إلى أدلة كل قول فالراجح ما عليه الجمهور أنه واجب [19].

والمسألة المراد إبداء الحكم فيها هو حكم من تعذر عليه الدخول إلى مزدلفة بسب احتباسه في السيارة أو عدم القدرة على مغادرة عرفة، فما هو حكمه، اختلف الفقهاء إلى قولين القول الأول أن عليه دم لفواته لواجب، والقول الثاني لاشيء عليه للعجز ورفع للحرج.

القول الأخير أوفق باعتبار القواعد العامة منها:

- المشقة تجلب التيسير
- رفع الحرج

- لا تكليف إلا بمقدور
- أن ما عجز عنه المكلف من شرائط العبادات ومن واجباتها فإنه يسقط[20].

ويحسن في ختام هذا المقال أن أختمه بمجموعة من الاختيارات الفقهية للجنة الفتوى التابعة لبعثة الحج الجزائرية لعام 1440/2019، مراعاة منها للمقصد العام في رفع الحرج، وتيسيرا على الحجاج الجزائريين ليتمكنوا من أداء حجهم مطمئنين على مناسكهم الديوان الوطني للحج والعمرة: لجنة الفتوى والإرشاد

## اختيارات فقهية في بعض مسائل الحج1440 /2019

### أولا. قيمة الفدية:

قدرت الفدية في هذا الموسوم بـ 42 ريالا، توزع على 6 مساكين، لكل مسكين 7 ريالات.

### ثانيا. أحكام الإحرام

1. الإحرام من جدة صحيح، ولا شيء على من أحرم بها.

2. يجوز لبس (البليغة)، ولو كانت مخيطة.

3. يجوز لبس (الصندالة)، ولو كانت مخيطة، وبها سيور محيطة بالعقب.

4. يجوز لبس الحزام، ولو فوق الإزار، ولا يترتب على ذلك شيء.

5. يجوز لبس الحذاء لأصحاب الأعذار، وتترتب على ذلك فدية واحدة.

6. يجوز لبس التُّبَّان ووضع الحفاظات لأهل الأعذار، وفيه فدية واحدة عن كل أيام الحج.

### ثالثا. أحكام الطواف

1. الوضوء في الطواف واجب وشرط في صحته، ومن انتقض وضوؤه أثناء الطواف ففيه التفصيل الآتي:

أ. القادر الصحيح: يجب عليه أن يعيد الوضوء، ويستأنف الطواف من البداية، وإذا لم يمكنه الوضوء لشدة الزحام، تيمم وأعاد الطواف.

ب. المريض بالسلس الدائم: يُتِمُّ طوافَه دون إعادة الوضوء، وطوافه صحيح، ولا شيء عليه.

ج. العجزة (المريض، الكبير، البدين، والمرافق للعجزة): يعيدون الوضوء إن

أمكن، وإذا لم يتمكنوا من الوضوء، تيمموا وأتموا الطواف من حيث توقفوا.

2. يجوز دفع العربة بالغير في الطواف والسعي، ويجزئ ذلك عن الدافع والمدفوع به.

3 . يجوز التوقف أثناء الطواف للحاجة، كانتظار الرفقة، أو أخذ قسط من الراحة، أو شرب الماء.

4 . يمكن للمرأة أن تتناول الدواء لتأخير الحيض. وإذا حاضت وحان موعد سفرها قبل طهرها، جاز لها أن تطوف من غير صلاة، وتسعى بين الصفا والمروة، وعليها هديٌ.

5. طواف الوداع سنة، ويجوز جمعه مع طواف الإفاضة للمتعجل في الخروج من مكة. ولا شيء على من تركه.

6 . يصح طواف الوداع، ولو تأخر الحاج في الخروج من مكة لساعات، وله أن يصلي في الحرم، دون إعادة طواف الوداع مرة أخرى.

## رابعا. أحكام المشاعر

1. الحجاج الذين يذهبون إلى عرفات يوم التروية، يتمون صلاتهم ولا يقصرون.

2. يكفي النزول في مزدلفة بقدر حط الرحال والصَّلاة وجمع الحصيات (ويُقدَّر ذلك بنصف ساعة على الأقل)، ويجوز الخروج إلى منى قبل منتصف الليل.

3. يجوز الرمي ليلة النحر بعد منتصف الليل، وكذا طواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة.

4 . يجوز الرمي أيام التشريق بعد الفجر لا قبله، مع العلم أن الرمي يبقى مفتوحا بعد ذلك على مدار الساعة.

5 . تجوز النيابة في الرمي عن أصحاب الأعذار، كالمرضى، وكبار السن، والحوامل، ولا شيء عليهم.

6. المبيت بمنى واجب على من قدر على ذلك ووجد مكانا، ويتحقق وجوب المبيت بمعظم الليل (نصف الليل)، ومن تركه متعمدا دون عذر فعليه الهدي.

7. يجوز لأصحاب الأعذار (كالمرضى، وكبار السن، والحوامل، والمرافقين لهم)

أن يتركوا المبيت بمنى ابتداء، ويذهبوا إلى فنادقهم بمكة، على أن يُنِيبُوا غيرهم للرجم عنهم.

8 . يسقط وجوب المبيت بمنى لمن لم يجد مكانا، ويلحق بأصحاب الأعذار، ويبيت في فندقه بمكة.

ع/لجنة الفتوى والإرشاد

## أهم التوصيات المتعلقة بالبحث:

- وضع دليل للفتوى للاستئناس به لفائدة المرشد الديني في الحج.
- أن يُختار المرشد الديني ممن له دراية واسعة بالمناسك وذو خبرة ميدانية. وذلك بإجراء انتقاء عن طريق المسابقة.
- نقترح تأليف كُتيب بصيغة السؤال والجواب بأسلوب سهل ومبسط لأهم المسائل الفقهية شائعة الحدوث.
- زيادة التوعية والإرشاد للمقبلين على أداء مناسك الحج، وتوزيع كُتيب يحتوي على أهم المسائل الفقهية التي تعترضه أثناء تأدية مناسكه.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

## قائمة المصادر والمراجع


- الإحرام قاصدي بيت الله الحرام وقضية امام يجتهد في إبطال مذهب الإمام، الشيخ أحمد حماني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف مطبعة الرغاية 1994 الجزائر.
- افعل ولا حرج سلمان فهد العودة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1998.
- أنوار البروق في أنواء الفروق، وبهامشه تهذيب الفروق، والقواعد السنية في الأسرار الفقهية لأحمد بن إدريس القرافي دار احياء الكتب العربية بمصر .2010.
- الحج في الفقه المالكي وأدلته لعبد الله بن الطاهر مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى 1442/2001.
- درر الحكام شرح مجلة الأحكام لعلي حيدر، دار عالم الكتب 1423/2003.
- قاعدة المشقة تجلب التيسير للدكتور يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد السعودية الطبعة الاولى1424/2003.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ط/ دار الكتب العلمية؛
- مسائل في نوازل الحج أحمد بن محمد الخليل دار اللؤلؤة بيروت الطبعة الأولى 1440/2019.
- المنثور في القواعد الفقهية بدرالدين الزركشي الشافعي تحقيق تيسير فائق احمد محمود دار الكتب العلمية.
- منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة، الطبعة لأولى،
- نوازل الحج، عبد الله بن حمد السكاكر، [دروس ألقاها ضمن الدورة العلمية الشاملة المقامة بجامع الراجحي ببريدة في شوال 1427هـ] نقلا عن المكتبة الشاملة.

## الهوامش:

1. فهد العودة، سلمان، افعل ولا حرج: ص(13)، دار الكتب العلمية ط/1، 1998.

2. العز، بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام:( 2/8) ، دار المعارف؛ بيروت- الزركشي، بدر الدين بن عبد الله، المنثور في القواعد (-1/253 254)- القرافي، أبو العباس شهاب الدين، أنوار البروق في أنواع الفروق (2/210).

3. الشيخ أحمد حماني، الإحرام قاصدي بيت الله الحرام وقضية إمام يجتهد في إبطال مذهب الإمام، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف مطبعة الرغاية 1994 الجزائر. الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (117) دار التوحيد للنشر الرياض الطبعة الأولى سنة 1431/2010.

4. محمد بن إسماعيل، البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه حسب ترقيم فتح الباري (برقم 1526) باب مهل أهل مكة للحج والعمرة(ج2/165) ، دار الشعب – القاهرة ط 1/1987 ، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (برقم 2860) (ج4/5) دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة. بيروت.

5. الخليل، أحمد بن محمد، مسائل في نوازل الحج ص (47 وما بعدها) دار اللؤلؤة بيروت الطبعة الأولى 1440/2019، الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (118-139).

6. علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام:(ج4/ص227) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان- يعقوب بن عبدالوهاب، الباحسين قاعدة المشقة تجلب التيسير، مكتبة الرشد السعودية، ط1/2002.

7. السكاكر، عبد الله بن حمد، نوازل الحج، [ دروس ألقاها ضمن الدورة العلمية الشاملة المقامة بجامع الراجحي ببريدة في شوال 1427هـ] نقلا عن المكتبة الشاملة.

8. بن الطاهر، عبدالله، الحج في الفقه المالكي ص (128-125) ، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى -1442/2001 الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (326-310).

9. مالك بن أنس بن مالك، المدونة الكبرى،(ج1/429) المحقق: زكريا عميرات دار الكتب العلمية بيروت. لبنان

10. أبو محمد موفق الدين الشهير بابن قدامة المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ج3/481)، دار الفكر – بيروت ط/1، -1405 محي الدين يحي بن شرف، النووي، المجموع شرح المهذب،

(ج8/247) دار الفكر بيروت. وانظر بن الطاهر، عبدالله، الحج في الفقه المالكي ص (236 وما بعدها) .

11. محمد بن إسماعيل، البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه حسب ترقيم فتح الباري (برقم 1634) باب سقاية الحاج(ج2/191) - أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (برقم 3238) (ج4/86).

12. أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، النسائي، المجتبى من السنن (سنن النسائي) (رقم 3069) (ج5/273) تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ط/ 2 ، 1986 الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها. قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى: صحيح.

13. محمد بن إسماعيل، البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه حسب ترقيم فتح الباري (برقم 83) باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها(ج1/31). - أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (برقم 3216) (ج4/82) - أبو عبد الله الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (برقم 6484) (ج2/159) مؤسسة قرطبة القاهرة.

14. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، منهاج السنة النبوية ص (ج3/ص 94) ، المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: مؤسسة قرطبة ، ط1.

15. شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل، السرخسي، المبسوط، (ج4/68) تحقيق : خليل محي الدين الميس، دار الفكر بيروت، لبنان ط1/1421هـ2000م - مالك بن أنس بن مالك، المدونة الكبرى،(ج2/423) -شهاب الدين أحمد بن إدريس، القرافي، الذخيرة، (ج2/423) تحقيق : محمد حجي دار الغرب بيروت- محيي الدين يحيى بن شرف، النووي ، المجموع شرح المهذب، (ج8/235) دار الفكر بيروت. - أبو محمد موفق الدين الشهير بابن قدامة المقدسي، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني(ج5/328).

16. الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (490 وما بعدها)، بن الطاهر، عبد الله، الحج في الفقه المالكي ص (248).

17. شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل، السرخسي، المبسوط، (ج4/68)- محمد بن محمد، البابرتي العناية شرح الهداية(ج2/293) مطبوع بهامش شرح فتح القدير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان - علاء الدين أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف

على مذهب الإمام أحمد بن حنبل المرداوي (ج4/45) دار إحياء التراث العربي بيروت .لبنان ط1/ 1419هـ - أبو عبد الله شمس الدين المقدسي، محمد بن مفلح، الفروع(ج4/68)، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1/ 1424 هـ - 2003 م- فهد العودة، سلمان، افعل ولا حرج: ص(91 وما بعدها).

18. جواز رمي الجمار قبل الزوال كل أيام التشريق، هو قول طاوس وعطاء في إحدى الروايتين عنه، ومحمد الباقر، وإليه ذهب ابن عقيل، وابن الجوزي وغيرهم، واختاره من المعاصرين الشيخ عبد الله آل محمود، والشيخ مصطفى الزرقاء، والشيخ صالح البليهي، والشيخ القرضاوي غيرهم.قال الشيخ القرضاوي نقلا عن موقع اسلام أوين لاين : هالني ما سمعت في نشرات الأخبار، وما قرأتُه في الصحف: أن سلطات الحج في المملكة العربية السعودية أعلنتْ عن موت (270) مائتين وسبعين حاجًّا في مرمَى الجمرات، قُتِلوا وَطْئًا بالأقدام في غمرة الزحام الهائل على الرمي بعد الزوال! ومع هذا العدد الكبير من القتلى لا زال كثير من العلماء يُفتون الناس بعدم جواز الرمي قبل الزوال بحال، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم . يَسَّر في أمر الحج، وما سُئِلَ عن أمر قُدِّم ولا أخِّر فيه، إلا قال: "افعل ولا حرج" والفقهاء سهَّلوا في أمر الرمي حتى أجازوا أن يجمع الحاجُّ الرَّمْيَ في اليوم الأخير، وأجازوا الإنابة فيه للعذر، وهو أمر يتم بعد التحلُّل النهائي من الإحرام. وقد أجاز الرميَ قبل الزوال ثلاثةٌ من الأئمة الكبار: فقيه المناسك عطاء، وفقيه اليمن طاووس، وكلاهما من أصحاب ابن عبَّاس، وأبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين من فقهاء آل البيت. ولو لم يَقُلْ فقيه بجواز ذلك لكان فقه الضرورات يُوجِبُ علينا التسهيل على عباد الله، وإجازة الرمي خلال الأربع والعشرين ساعة حتى لا نُعرِّض المسلمين للهلاك. وجزى الله الشيخ عبد الله بن زيد المحمود خيرًا، فقد أفتى منذ أكثر من ثلث قرن بجواز الرمي قبل الزوال في رسالته "يُسْر الإسلام". انتهى ويقول الأستاذ الدكتور مصطفى الزرقا – رحمه الله – أستاذ الفقه والأصول بجامعات سوريا والجامعات العربية في رده على مثل هذا السؤال : رمي الجمرات يكون في الأيّام الأربعة كلّها من الصّباح قبل الزوال في مختلف الاجتهادات، ولو في غير يوم النّفر للمستعجِل وغيره ولكن خالَف في ذلك الإمام الباقر محمد بن علي من آل البيت (كما في بداية المجتهد- أبو الوليد محمد بن

أحمد، ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد و نهاية المقتصد (ج1/353))، و من التابعين عطاء وطاووس (محمد بن علي بن محمد، الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار(ج5/139) إدارة الطباعة المنيرية) فقال هؤلاء جميعًا: إن الوقت في اليوم الثاني أيضًا يبدأ من الفجر، فيرمي قبل الزوال مُطلقًا. فهد العودة، سلمان، افعل ولا حرج: ص (91 وما بعدها).

19. الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (514).

20. حمد بن شعيب أبوعبد الرحمن، النسائي، المجتبى من السنن (سنن النسائي) (رقم 3064) (ج5/270)- أبو عبدالله الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل (رقم 2082) (ج1/234)- سليمان بن الأشعث السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود،(1942) (ج2/138)دار الكتاب العربي . بيروت-أبو عيسى محمد بن عيسى ، الترمذي ، الجامع الصحيح سنن الترمذي(893)(ج3/240) تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي – بيروت. قال الشيخ الألباني: صحيح.

21. الشعلان، علي بن ناصر، النوازل في الحج ص (397 وما بعدها) ، بن الطاهر، عبدالله، الحج في الفقه المالكي ص (198).

22. السكاكر، عبد الله بن حمد، نوازل الحج،.

# خطبة الجمعة ليوم 19 ربيع الثاني 1445هـ
# الموافق لـ 03 نوفمبر 2023م،
# بعناسبة ذكرى اندلاع الثورة التحريرية،
# واستمرار العدوان على غزة.

**الخطبة الأولى:** الحمد لله رب العالمين، الحمد لله لا يزيد في ملكه حمد الحامدين ولا ينقص من ملكه جحود الجاحدين، الحمد لله لا يغنيه شكر من شكر ولا يفقره كفر من كفر، ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿12﴾﴾ لقمان

وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا رب سواه، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، سيد الخلق وناصر الحق، من بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم صلّ على المصطفى الأمين، وعلى آله وصحابته الدعاة المتقين، ومن حملوا الراية ومضوا بها في الخافقين، ونشروا الدين ونصحوا لله ورسوله وللمؤمنين، ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهداهم إلى يوم الدّين.

**أيها المؤمنون:**

نعيش هذه الأيام في رحاب ذكرى الفاتح من نوفمبر المجيد، ذكرى اندلاع الثورة التحريرية، والتي لانستطيع أن نوفيها حقها من الإعزاز والإكبار، وهل يمكن أن نرد الجميل لمن ضحّوا بأغلى ما يملكون وأنفس ما يحبون...

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿111﴾﴾ االتوبة

قد يتساءل البعض: ما جدوى الحديث عن الذكريات التي تمر على الأمم والشعوب؟ ما الفائدة منها؟ لماذا نذكر أياما مضى زمنها ومات صنّاعها؟

إننا نذكر ذلك لأن الله تعالى أمرنا أن نتفكر في التاريخ وأن نأخذ منه العبرة، كيف كنا وكيف أصبحنا، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿26﴾﴾ الأنفال، الأمة التي لا تاريخ لها، لا حاضر ولا مستقبل لها، وإن شئت فتأمل كتاب الله تعالى، فستجد التاريخ والقصص قد أخذ الحظ الأوفر والقسط الأكبر من محاور القرآن الكريم، قال تعال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يوسف 111.

ثم تأمل فيمن فقد ذاكرته ولا يعرف اسمه، فستجده ينتقل من طبيب لطبيب، ينفق المال الكثير لاستردادها، ليجد كيانه وذاته فحياته بدونها بلا معنى.

إن فوائد دراسة التاريخ كثيرة، ومنافع الذكريات وفيرة، وما من أمة تألقت في هذه الحياة وأخذت الصدارة في شتى المجالات إلاّ وكان لتاريخها دور، انطلقت منه لصناعة الحاضر والمستقبل...

ومن فوائد دراسة التاريخ؛ ربط الأمة بأصولها والمحافظة على شخصيتها، فالتاريخ ذاكرة الشعوب، ولذلك قال ابن باديس رحمه الله: (إن الأمم تتمايز كما يتمايز الأفراد، وأساس تمايزها: العقيدة والتاريخ واللغة.)

ثم إن التاريخ المجيد لهذه الأمة يدعو إلى الاعتزاز وبناء الشخصية القوية التي تأبى الضيم وترفض الذل وتقاوم الاستعباد، وتتشوق إلى الحرية، وهو باختصار يفرز خصائص شعب يتميّز عن غيره من الشعوب.

ومن فوائد دراسة التاريخ؛ أخذ العبرة وتعلم السنن الكونية والنواميس الإلهية، كسنة إهلاك الظالمين، والنصر لعباده المؤمنين، وسنة الابتلاء والتمحيص، وسنة التدافع، والاستبدال، وسنة التمكين، والإملاء والاستدراج، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد 11، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿7﴾﴾ محمد، وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿31﴾﴾ محمد،

وقوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ۖ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿140﴾﴾ آل عمران ، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿55﴾﴾ النور.

ومن فوائد دراسة التاريخ؛ معرفة القدوة الحسنة والأسوة الصالحة، من خلال دراسة سير الفضلاء والعلماء والشهداء الذين قدموا الغالي والنفيس نصرة لدينهم ووطنهم وأمتهم، وقديما قيل: إن مدارسة تاريخ الرجال أحب إلينا من كثير الفقه، لأن هؤلاء الرجال حققوا الإسلام في حياتهم وجسدوه في واقعهم.

**فيا شباب اليوم**، تأملوا شباب الأمس، انظروا كيف تجاوزوا الصعاب وكيف استغلوا قوة الشباب وعنفوانه في بناء مجد الأمة وصناعة التاريخ، فلا تعيشوا على هامشه...

ومن فوائد دراسة التاريخ؛ المعرفة الجازمة بأن هذه الأمة لا تموت رغم المكائد والمؤامرات ورغم المحن والويلات، ورغم الحروب والنكبات، سيظل في جسدها دائما عرق ينبض يضمن لها الحياة، فمن كان يظن أن فرنسا ستخرج من بلدنا بعد مائة وثلاثين عاما؟ ولكنها خرجت بعزعزيزوذل ذليل، من كان يظن أن فرعون سيُقهر ليكون لمن خلفه آية؟ من كان يظن أن التتار سينتهي ظلمهم من بلاد المسلمين، بل يعتنقون الإسلام؟ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿59﴾﴾ الكهف.

## أيها المؤمنون

تعلمنا من ثورة نوفمبر، حب الحرية والتضحية من أجلها، تعلمنا من ثورة نوفمبر نصرة المظلوم ونجدة المنكوب وكراهية الخيانة، تعلمنا أننا أمة واحدة وأننا كالجسد الواحد (إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

ولذلك تتقطع قلوبُنا مما يحدث لإخواننا في غزة، ورغم الجراح نحن نتعلم من غزة، نتعلم من رجالها وشيوخها ونسائها وأطفالها، نتعلم كيف يكون الصبر.. كيف يكون الثبات.. كيف تكون العزة والكرامة... إنها دروس لا نجدها في المدارس والمعاهد والجامعات، بل تشع علينا من هناك، من وراء الأسوار، ومن فوق الأنقاض، ومن بين الأطلال، والأشلاء، ومن بين المقابر الجماعية...

نتعلم من غزة معنى الثبات في زمن التولّي والتردّي، ومعنى العزيمة في زمن الانكسار، ومعنى الارتقاء في زمن الانحدار، ومعنى الإصرار في زمن التهاون، ومعنى الرصانة في زمن التفاهة...

هذه غزة تلقّن للعالم أجمع؛ دروس الحرية التي ترفع عن العبودية، ودروس الكرامة التي تستعلي على المهانة.

نحن الجزائريون نرى أن غزة تحب الحياة، لكنها تحبها حياة حرّة كريمة عزيزة، هذه الحياة التي تُسلب منها بالقتل والجوع والمرض والوباء... ولكنها لا تساوم أحدا في هذا العالم على حقوقها ودينها وقدسها وكل شبر من أرضها... لذلك نحبها...

**أيها المؤمنون:**

تعلمنا من غزة أن لكل ظالم نهاية، وأنه ما ضاع حق وراءه طالب، وأن العدوان إذا بلغ مداه فتلكم علامة نهايته، ودوام الحال من المحال، ولا يتسع الأمر إلا إذا ضاق ولا يبزغ الفجر إلا بعد الظلام الحالك، فلا نبتئس وإن مستنا البأساء والضراء، ولا نجزع وإن بلغت القلوب الحناجر..

تعلمنا من غزة، وتعلمنا من ثورتنا أن الأعداء وإن سحقوا الأبدان فلن ينزعوا الإيمان، ولن يفنوا هذا الإنسان، ولن يسلبوا الإرادة، ولن يقتلوا العزيمة...

**أيها المؤمنون:**

لقد فضحت غزة أولئك الذين يكيلون بمكيالين، الذين يرون الحق باطلا والباطل حقا، ويسمون الأمور بغير مسمياتها، الذين نحتوا للحرية التماثيل وشيّدوا لها الصروح، ولكن على أشلاء الملايين من الهنود الحمر، فضحت أولئك الذين رفعوا شعار الحرية والعدالة والمساواة، ولكنهم داسوا على تلك القيم النبيلة بانتصارهم للباطل وتأييدهم للظالم، يتفاخرون بمقاومتهم للنازية ويعتبرون رجالها رموزا على مدى

التاريخ، ثم يصفون المقاومة الفلسطينية بالإجرام والإرهاب... يا للعجب...

يا أهل غزة ... لقد أيقظتم في هذا العالم سؤال الأخلاق، كشفتم أزمة القيم، وسقط مع طوفان الأقصى القناع وتهاوت الشعارات، وتبيّن المتاجرون بقضيتكم الذين باعوا الضمير وآثروا الحياة الدنيا، وإن كانوا من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وتلكم نتيجة محتومة « ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ آل عمران 179.

يا أهل غزة ...اصبروا وصابروا ورابطوا، واستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، فإن موعدكم القدس... موعدكم العودة... والله غالب على أمره وله الأمر من قبل ومن بعد...

هذا وصلوا وسلموا على الحبيب المصطفى، فقد أمر الله بأمر بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته وثلّث بكم أنتم أيها المؤمنون فقال: ﴿ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿56﴾ ﴾ الأحزاب.

**الخطبة الثانية:** الحمد لله على إحسانه، والشكر له على فضله وامتنانه، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله تعظيما لشانه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، اللهم صلّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه، وعلى من سار على دربه إلى يوم الدّين بإحسانه...

**أمّا بعد:**

**فيا أيها المؤمنون:** لا تنسوا إخوانكم بالدعاء ولا تستهينوا به، فإنه أفتك سلاح إذا تقطعت السبل ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿60﴾ ﴾ غافر

ولكم في قصة الثلاثة الذين حُبسوا في الغار عبرة وتذكار، سألوا ربهم بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم، فأعينوا إخوانكم بالصلاح والاستقامة...

واعلموا – يرحمكم الله – أن النصرة والإعانة من أعظم الواجبات، فلا يكتفي بالدعاء من قدر على أكبر من ذلك، وسيُسأل أمام الله، (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما).

كما يجب علينا أن نربط الأجيال بالقدس والأقصى، وأن نعلمهم ذلك الارتباط العقيدي والتعبدي والتاريخي بتلك الأرض الطاهرة، نربطهم بأولى القبلتين وثالث الحرمين، تلك الأرض التي كانت وستبقى تحت راية التوحيد، وأن الأولى بها هم الذين يؤمنون ويعظمون جميع الأنبياء وليس أولئك الذين قتلوا فريقا وكذبوا فريقا، بذلك تحيا قضية الأقصى في قلوب الأبناء والأحفاد...

**أيها المؤمنون:**

من أوجب الواجبات أن نعلم الأمة أسباب النصر والهزيمة، وأن معركة غزة ماهي إلاّ جولة من صراع قد يطول أو يقصر، ويمكن للأمة أن تجعله قصيرا إذا تمثلت أسباب النصر، وما ذلك على الله بعزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾ الأنفال.

فلنحقق في أنفسنا قوة الإيمان وقوة الصف وقوة العلم والإعداد... ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾ إبراهيم.

اللهم بردا وسلاما على غزة، اللهم بردا وسلاما على القدس والضفة وكل فلسطين، اللهم رد كيد المعتدين، واربط على قلوب المؤمنين، اللهم ارحم شهداءهم واشف جرحاهم واجبر كسرهم، ووحد صفهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم وامكر لهم ولا تمكر عليهم واجمع لهم ولا تجمع عليهم، اللهم عليك بأعدائهم فإنهم لا يعجزونك...

اللهم ارحم شهداءنا الأبرار واجعلهم في عليين، واللهم ارزق بلدنا الأمن والسلام وسائر بلاد المسلمين، سخاء رخاء يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحب وترضى، وألهم السداد والتوفيق، وهيئ لهم بطانة خير ترشدهم إليه وتدلهم عليه...

**آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...**